

صحبة الرسول ﷺ

بين المنقول والمعقول

الطبعة الأولى

١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م



العراق: كربلاء المقدسة - العتبة الحسينية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية - هاتف: ٣٢٦٤٩٩

www.imamhussain-lib.com

E-mail:info@imamhussain-lib.com

صحبة الرسول صلى الله عليه وآله
بين المنقول والمعقول

بقلم

محمد علي النجفي

إصدار

وحدة النشر الثقافي

شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية

جدول محتويات

المقدمة

الحمد للّه رب العالمين؛ والصلاة على أشرف المرسلين محمّد وآله الطيبين الطاهرين؛ وعلى أصحابهم الأوفياء وأوليائهم الأبرار.

أمّا بعد: فقد وقفتُ على رسالةٍ صغيرةٍ من تأليف الشيخ صالح بن عبد اللّه الدرويش، القاضي في المحكمة الكبرى بالقطيف، وكان موضوعها (صحبة رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله) ولم يكن العزم على كتابة ردّ عليها، وتوضيح لما ورد فيها من مغالطات مقصودة أو غير مقصودة، وما فيها من تجاوزات نقليَّة وعقليَّة، ولكن لسوء الوضع الراهن الذي نعيشه من حيث الهجوم المتصاعد على الإسلام، وبشتّى وسائل الإعلام المتيسّرة للمهاجمين، سعياً في إطفاء نور اللّه المتمثّل في نور الرسول الكريم وأهل بيته عليهم السلام وجدتُ من

اللازم عليَّ أن أكتبَ ما يوجب كشف مغالطاته في حقّ الصحابة، وردّ مزاعمه في حبِّهم والدفاع عنهم، فكانت هذه الرسالة على العجالة، كتبتُها راجياً أن تسدّ رَأْب ما صدعه هذا الكاتب وأمثاله. جعلها اللّه في صحيفة أعمالي يوم لا ينفع مال و لا بنون إلا من أتى اللّه بقلب سليم.

حقيقة الصحبة وتعريف الصحابي

اختلف في المراد بالصحبة للنبيّ صلى اللّه عليه وآله على أقوال كثيرة، ولنذكر المهمّ دون إشباعٍ له؛ فهو موضوع طويل جدّاً، ولكن توصلاً إلى المراد ممّا يفي بالنتيجة المطلوبة من البحث؛ نقول:

الصحبة في اللغة

قال في القاموس: (..صحِبَه كسَمِعَه صحَابَة وصحْبَةً: عاشره، وهم: أصحاب وأصاحيب وصحبة وصحْب، واستصحبه دعاه للصحبة ولازمه)[1].

وفي المعجم الوسيط: (صحبه أي رافقه، والصاحب المرافق، واستصحبه جعله صاحباً له، ولزمه، ودعاه إلى الصحبة)[2].

---

1 القاموس المحيطللفيروز آبادي: ١ / ٩١.

2 المعجم الوسيط، لمجموعة من الاختصاصيين: ١ / ٥٠٧.

الصحبة في الاصطلاح

لم يزد بعضُ ممَّن عرَّف الصحبة على المعنى اللغوي، فقال بأنَّ الصحبة في الاصطلاح هي نفسها ما كانت عليه عند اللغويين.

وبعض قال باختلافهما، وهؤلاء بين مضيقٍ لدائرة الصحبة، وبين موسِّع لها.

والشاهد على ذلك ما ذكره ابن الأثير في جامع الأصول[1] قال: (ثمَّ الصحبة من حيث الوضع تنطبق على من صحب النبي صلى الله عليه وآله ولو ساعةً، ولكنَّ العرف يخصص الاسم بمن كثرت صحبته، ولا حدَّ لتلك الكثرة بتقدير، بل بتقريب)[2].

وإليك بعض آرائهم في ذلك:

١ - تعريف السمعاني؛ كما حكاه ابن الصلاح في مقدمته[3]: (من طالت مجالسته مع النبي صلى الله عليه وآله على طريق التبع والأخذ، بخلاف من وفد إليه وانصرف بلا مصاحبة، قالوا: وذلك معنى الصحابي

---

١ جامع الأصول لابن الأثير الجزري: ١ / ٧٤.

٢ ذكر هذا المعنى عن جامع الأصول: الشيخ المامقاني ؛ مقباس الهداية: ٣ / ٢٩٧.

٣ ابن الصلاح في المقدمة: ص ٤٢٣.

لغةً)[١].

وهو ضعيف؛ لكون طول المكث مؤثراً في المنزلة والاختصاص به أكثر من غيره ليس إلاّ، علاوةً على مخالفته لمعناها اللغويّ.

٢ - ما ورد عن سعيد بن المسيب: (من أنَّه لم يكن يعدّ صحابياً إلا من أقام مع رسول اللّه سنةً أو سنتين، وغزا معه غزوةً أو غزوتين)[٢].

وسيأتي أنَّ هذا معنى استعماليّ للصحبة وليس تعريفاً حدّيًّا له.

٣ - الصحابي من طالت صحبته وروي عنه، حكي عن جماعة. فيخرج به من قلَّت صحبته، وقلَّ مكثه مع النبي صلى اللّه عليه وآله.

٤ - أنه من رآه بالغاً، وقد حكاه الواقدي. فيخرج من كان قد رآه مميزاً قبل بلوغه، ومات النبي ولمَّا يبلغ.

٥ - أنه من أدرك زمنه وهو مسلم، حكي عن ابن عبد البر وابن منده. فيشمل هذا كلّ من أدرك زمنه وهو مسلمٌ وإنْ لم يره، وإنْ مات بعد ذلك على غير الإسلام.

---

١ حكاه عنه في مقباس الهداية: ٣ / ٢٩٦.

٢ حكاه عنه في مقباس الهداية ٣ / ٢٩٧ ؛ وذكره في الباعث الحثيث: ٢٠٣، شرح الألفيَّة للسخاوي: ٣ / ٩٤.

٦ - أنَّه من اختص بالرسول واختص به الرسول صلى اللّه عليه وآله وهذا أضيق التعاريف؛ لخروج الكثير من الصحابة بذلك عن كونهم صحابةً.

٧ - أنَّه كلّ مسلم رأى النبيّ صلى اللّه عليه وآله. وهذا هو المنقول عن البخاري[١]، فتشمل كلّ من رآه مسلماً ولو لم يصحبه، أو مات على غير الإسلام. وهذا ممَّا لا يمكن الالتزام به قطعاً.

والواقع أنَّه لم يسلم أيٌّ من هذه التعاريف عن الإشكال، بعدم المانعيَّة في بعض منها، أو عدم الجامعيَّة في آخر، كلزوم خروج بعض من ثبتت لهم الصحبة عن كونهم من الصحابة كجرير بن عبد اللّه البجلي.

ويلزم منها - أيضاً - خروج مثل ابن أمّ مكتوم، الذي كان كفيفاً، مع أنَّه مسلَّم الصحبة، أو من أسلم ثمَّ ارتدّ ومات على الردَّة، كعبد اللّه بن جحش وعبد اللّه بن خطل.

كما يلزم على مثل تعريف سعيد بن المسيب و

---

١ حكاه عنه جماعةٌ بل ادعى أنَّه المشهور والمعروف بين المحدثين، ومفاده الرؤية ولو للحظة، حتى لو لم يَرْوِ عنه صلى اللّه عليه وآله شيئاً.

أصحاب الأصول خروج جويبر بن عبد اللّه؛ فإنَّه ممَّن لم يطل مكثه مع النبي صلى اللّه عليه وآله ولم يغزُ معه غزوةً قطّ، مع أنَّه معدود في الصحابة.

وعلى كلّ حال، فقد مات النبيّ صلى اللّه عليه وآله عن مائة وأربعة وعشرين ألفاً ممّن يعدُّ صحابياً، وعلى ما سلف من تعريفاتهم يلزم خروج الكثير ممَّن عدَّ صحابياً.

فلابدَّ إذن من اشتراط اللقاء كما فعل الشهيد، والسيّد علي خان صاحب الدرجات الرفيعة، فقد عرَّف الصحابيّ بأنَّه: (من لقي النبيّ صلى اللّه عليه وآله مؤمناً به، ومات على الإسلام، ولو تخلّلت ردّته بينهما)[1].

الصحبة في الاستعمال

لعلّ الكثير من التعاريف التي مرَّت علينا هو في واقعه توضيح لما استعمل من المفهوم عند الصحابة أنفسهم، إما بتضييق وإما بتوسعة له، لا أنه تحديد منطقي لمفهومها.

ومن نماذج استعمال الصحبة في معنى أضيق دائرةً: ما ذهب إليه أنس بن مالك من أنَّ رؤية النبيّ

---

١ الدرجات الرفيعة للسيد على خان المدني: ص ٩.

صلى اللّه عليه وآله غير كافيةٍ في اعتبار الرجل صحابيّاً، فقد سئل: (هل بقي من الصحابة غيرك؟ فقال: بقي أناسٌ من الأعراب، أمّا الصحبة فلا)[١].

كما مرَّ نقل اشتراط سعيد بن المسيب لكي يكون الرجل صحابياً أنْ يقيم مع رسول اللّه سنةً أو سنتين أو أن يغزو معه غزوةً أو غزوتين[٢].

ولكنَّ السمعانيّ ألغى اعتبار زمنٍ محدّدٍ لمعنى الصحبة أكثر ممَّن سبق فقال: (أصحاب الحديث يطلقون اسم الصحبة على كلِّ من صحب النبيّ شهراً أو يوماً أو ساعةً أو رآه).

ولكنَّ أحمد بن حنبل ضيَّق ذلك المعنى فقال: (أصحاب رسول اللّه كلّ من صحبه وروى عن النبيّ ولو حديثاً أو كلمة)[٣].

فإنَّ بين هذا التعريف، وما ذكره السمعاني، عموماً مطلقاً، والوجه اشتراط أحمد بن حنبل الرواية، وهي فرع الرؤية طبعاً.

ولكنَّ الغزالي قال: (لا ينطبق اسم الصحبة إلاّ على

---

١ مقدمة ابن الصلاح: ص ١١٨ – ١١٩.

٢ المصدر السابق.

٣ جامع الأصول لابن الأثير: ١ / ١٣.

من صحبه... إلى أن قال: ولكنَّ العرف يخصصه بمن طالت صحبته).

وقال ابن حجر العسقلانيّ - بعد أن ناقش التعريفات السابقة -: (أصحّ ما وقفتُ عليه في تعريف الصحابيّ أنه من لقي النبيّ مؤمناً به، ومات على الإسلام)[1].

وأمَّا ما اختاره هذا الكاتب الذي نحن بصدد المناقشة لما كتبه؛ فالصحابي عنده: (من آمن بالنبي صلّى اللّه عليه - وآله - وسلّم، وصحبه ولو لفترةٍ من الزمن ومات على ذلك، وأمَّا طول الصحبة فهو يؤثّر في المنزلة ليس إلاّ)[2].

وهذا قريبٌ جدّاً من تعريف ابن حجر العسقلانيّ في اعتبار الإيمان بالنبي صلى اللّه عليه وآله والموت على ذلك.

بماذا تُعْرَفُ الصحبة؟

وأمَّا ما تُعْرَفُ به صحبة الصحابيّ وما يثبت له تلك الصفة، فهي:

---

١ مقدمة كتاب نقعة الصديان فيمن في صحبتهم نظر؛ للصاغاني، عن كتاب الإصابة: ١ / ١٠.

٢ صحبة رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم: ص ٥.

١: الإجماع.

٢: أو التواتر.

٣: أو الشهرة.

مناقشة تعريف الكاتب للصحابي

ولا بأس بالتعليق على ما عرَّف به هذا الكاتب للصحابيّ، فنقول:

قد اشتمل تعريفه للصحابيّ على أمور:

الف: الإيمان بالنبيّ.

باء: والصحبة له.

جيم: والموت على ذلك.

دال: وطول الصحبة مؤّثر في المنزلة.

فأمَّا الإيمان به صلى اللّه عليه وآله: فهو شرطٌ مهمّ وأساسٌ في الصحابيّ، ولكن لابدَّ من إدامة هذا الإيمان، ولعلّ الكاتب التفتَ إلى هذا فقال بعد ذلك: ومات على ذلك.

وأمَّا الصحبة له: فهي جزء الموضوع، لتحقّق معنى الصحابيّ لغةً في من يرافقه صلى اللّه عليه وآله بل تمام الموضوع في من يصحّ له ادعاء ذلك.

وأمَّا الموت على ذلك: فإنْ كان يقصد الموت على

الإيمان بالنبي صلى اللّه عليه وآله فهو المطلوب لنا أيضاً، وهو تامّ، وإنْ كان مقصوده الموت على الصحبة فهو ممّا لا دليل عليه في الصحابي، بل الكثير منهم قد هاجر ورجع إلى وطنه، أو أرسله النبي صلى اللّه عليه وآله إلى بلد ولم يرجع عنه، فهل يخرج عن كونه صحابياً؟ كلاّ وأَلْفُ كلاّ.

ماذا لو تخللت الردة بين إيمان الصحابي وموته؟

بقي أمرٌ: وهو أنَّ تخلّل الردّة بين الإيمان والموت، هل يكون مخلاً بالصحبة أم لا؟

ظاهر الجمهور عدم ذلك، فلو آمن بالنبيّ، ثمَّ ارتدَّ، ثمَّ رجع وحسن إسلامه وإيمانه عُدَّ صحابيّاً، ولم يرتفع عنه معنى الصحبة؛ على تردّدٍ في هذا لمعارضته لبعض الآيات والروايات أوّلاً، ومن حيث صدق الصحبة ثانياً.

نعم، لو قيل بأنَّه لم ينتفِ معنى الصحبة عنه حتى يحتاج إلى البحث في صدقه أمكن ذلك.

وأمَّا بالنسبة إلى الرواية عنه صلى اللّه عليه وآله: فلم يشترطه هذا الكاتب - وهو الحقّ - فإنَّ الرواية عن النبيّ ليست فصلاً مقوِّماً لمفهوم الصحبة حتى يدَّعي عدم تحققه بدون هذا الفصل، بل يمكن عدّ الرجل

صحابياً وإن عدَّ فيمن لم يروِ عنه صلى اللّه عليه وآله.

من يكره على الإيمان هل يكون صحابياً؟

والأمر الأخير المتبقي حول التعريف هو اشتراط الاختيار في ذلك؛ فلو كان مضطراً أو مكرهاً على الإيمان، لم يتحقّق منه أهمّ شرط في الصحبة، وإن تحقّقت صحبته للنبيّ صلى اللّه عليه وآله بمعناها اللغوي أو الاصطلاحي على بعض التعريفات السابقة.

وكذا يخرج عن تعريفه عند من يشترط في التعريف الإيمان عن معرفة بشخص النبيّ، فمن آمن به وصحبه دون معرفة له على أنَّه نبي اللّه محمّد صلى اللّه عليه وآله الذي أرسله اللّه للخلق كافَّة، فهو ليس بصحابيّ، على هذا.

وأمَّا عدم اشتراط الرؤية من قبل الكاتب: فهو إمَّا لالتفاته لدخول ذلك في لفظ الصحبة، وإمَّا لإهماله لهذا الشرط.

ولكن لا يخفى أنَّ الاكتفاء في تحقّق الصحبة بكلّ من آمن بالنبيّ، وإن لم يره - أي مع عدم اشتراط الرؤية - يوسِّع دائرة الصحبة لمثل من آمن به ولو في بلد آخر، فاشتراط رؤية النبيّ أمرٌ مهمٌّ في ثبوت الاتّصاف

بالصحبة، وإلاّ فمن آمن به ولم يره، أقوامٌ كثيرون يعدّون بالآلاف، إمَّا لعدم قصدهم لرؤيته، وإمّا لتعذر ذلك عليهم، وإمَّا لتوجّههم لاشتراط رؤيته، ولكنَّهم لم يُوفَّقُوا لذلك، كما نقل عن أبي ذؤيب الهذلي حيث رأى النبيّ بعد موته وقبل دفنه[١] فلم يعدّ من الصحابة، وإمَّا لعدم كونهم من أهل عصره أصلاً، كالتابعين ومن تلاهم، فكلّ من جاء بعد موت النبي صلى اللّه عليه وآله ممَّن آمن به ينطبق عليه هذا المعنى، مع عدم صدق الصحبة.

ثمَّ إنَّ اشتراط الإيمان مهمٌّ باعتبار آخر وهو: أن ذلك يُخرج من دخل في الدين خوفاً من السيف، أو من دخل فيه رغبةً في المال أو الجاه، وليس إيماناً بالدين، ولعلّ في بعض الروايات المشيرة إلى أسباب الهجرة توضيحاً لهذا المعنى، كقوله: «فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو إلى امرأة يحبّها، فهجرته إلى ما هاجر إليه...»[٢].

فهذه العبارة من الرسول صلى اللّه عليه وآله وإن

---

١ الدرجات الرفيعة: ص ٦.

٢ صحيح البخاري: ١ / ٣، ٣٠، ٢ / ٨٩٤، ٣ / ١٤١٦، ٦ / ٢٤٦١ وغيره من المصادر الحديثيَّة.

كانت في مقام بيان الهجرة المطلوبة وهي الهجرة إلى اللّه فقط، لكنَّها تبيّن لنا - من منظور آخر - مطلوبيَّة الإيمان بالدين من أوّل عمره إلى آخره، ولذا فيمكن التشكيك في صحبة مَن آمن بالنبيّ مدَّة حياته وانقلب بعد موته صلى اللّه عليه وآله وأظهر ما كان مُخفياً له من أمارات النفاق والجحود بالدين وبأوامره ونواهيه.

والأمر المهمّ الذي ندّعيه - كما سيأتي مع أدلته - هو أنَّ الصحبة تمثّلت في الصحابة بصورتين وفي فئتين منهم:

١ - صورة تحكي واقع أولئك الصحابة وهي أنَّهم أطاعوا النبي في كلّ شيء وسلَّموا له في أوامره ونواهيه، فهؤلاء هم الذين وردت فيهم الآيات المادحة والروايات المعرِّفة لهم بصفات مخصوصة[1] والمبيّنة لمقاماتهم عند اللّه عزَّ وجلَّ.

٢ - صورة تحكي واقعاً مزيَّفاً، وملبّساً بقناع يخفي وراءه الكثير من الحوادث التي صدرت منهم بعد وفاته صلى اللّه عليه وآله والتي أخبر بها النبيّ صلى اللّه عليه وآله وحذَّر من الوقوع فيها، بل حذَّر القرآن منها في

---

١ ففي تعبير القرآن دقَّة بالغةٌ حينما عبَّر بـ والذين معه ولم يقل صحبوه أو من صحبه... فتأمل!

بعض آياته، قال تعالى: ﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ على أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِب على عَقِبَيه فَلَنْ يَضُرَّ الله شَيْئاً﴾[١].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ نَكَثَ فإنَّمَا ينْكُثُ على نَفْسِه﴾[٢].

وقال صلى الله عليه وآله: «لا ترجعوا بعدي كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»[٣].

وعليك بالتتبع لروايات إخبارات النبيّ صلى الله عليه وآله بالمغيّبات، وبآخر الزمان، وستجد الكثير ممَّا حدّثناك عنه موجوداً في طيَّات تلك الصفحات، والتي لم يرغب هذا الكاتب أن يكشف الستار عنها خوفاً من ظهور ما لا يمكنه الجواب عنه، فيقع في ما لا تحمد عقباه.

وأهمّ أمرٍ نمنع من تحقّقه كلازم للصحبة - وهو مدّعى الكاتب - أن تكون الصحبة بنفسها عاصمةً لمن

---

١ آل عمران: ١٤٤.

٢ الفتح: ١٠.

٣ صحيح مسلم: ١ / ٨٢ رقم ٦٥ - ٦٦، صحيح البخاري: ١ / ٥٦، ٢ / ٦١٩، ٤ / ١٥٩٨، مجمع الزوائد لنور الدين الهيثمي: ٦ / ٢٨٤ وقال: رواه أحمد، رجاله رجال الصحيح.

وُصفَ بها.

وسوف نسرد للقاريء المحترم لاحقاً مجموعة من أسماء الصحابة ممَّن لم يحسن الصحبة في حياة النبيّ صلى اللّه عليه وآله فضلاً عمَّا صدر منهم بعد وفاته[١].

وعلى كلّ حال، فما ذكره من معنى للصحبة لا يمكن الالتزام به على إطلاقه، بل حتى الكاتب نفسه لو التفتَ وتأمّل في ما عرَّف به الصحابيّ، لتوجَّه لما يلزم عليه من ذلك فتخلَّى عنه.

معنى الصحابي عند علماء مذهب أهل البيت عليهم السلام

فالصحابيّ - عندنا: من رأى النبيّ صلى اللّه عليه وآله وآمن به وصدَّقه في كلّ ما جاء به، وسلَّم بكلّ أوامره ونواهيه قلباً واعتقاداً وعملاً مدَّة حياته ومات على ذلك.

ومن أهمّ أوامره، والذي ما فتئ يكرّره حال حياته، هو التمسّك بولاية أمير المؤمنين ويعسوب الدين عليّ

---

١ وللتوسع في هذا البحث: ارجع لكتاب الدرجات الرفيعة للسيد علي خان المدني، وكتاب النص والاجتهاد للسيد شرف الدين، وكتاب في رحاب العقيدة للسيد محمد سعيد الحكيم، وغيرها من الكتب المبسوطة في هذا المجال.

بن أبي طالب عليه السلام.

كما أنَّ من أهمّ نواهيه منعه عن مخالفة أمير المؤمنين، والانحراف عن بيعته وجادَّته، فإنَّه عليه السلام مع الحقّ والحقّ معه، كما نطقت بذلك النصوص النبويَّة المستفيضة إن لم تكن متواترة[١].

هذا كلُّه من جهة أصل معنى الصحبة لغة واصطلاحاً.

وأمَّا من جهة أثر الصحبة؛ فنحن الشيعة الإماميَّة نعتقد بأنَّ ذات الصحبة للنبيّ صلى اللّه عليه وآله ليست موجبةً لإثبات صفة مدحٍ لم تكن متحقّقةً في الشخص بدونها، وكذلك الصحبة لا توجب نفي ما أُلصقَ بالشخص ممَّا دلَّت الروايات عليه[٢].

وهذا هو القول النصفُ الذي يأخذ الحقَّ ممَّن ظلمه،

---

١ سنن الترمذي: ٥ / ٢٩٧ حديث ٣٧٩٨، مجمع الزوائد: ٧ / ٢٣٥، المستدرك: ٣ / ١١٩، ١٢٤، تاريخ دمشق لابن عساكر: ٣ / ١١٩ حديث ١١٦٢، كنز العمَّال للمتقي الهندي: ١١ / ٦٠٣ حديث ٣٢٩١٢، تاريخ بغداد: ١٤ / ٣٢١، فرائد السمطين: ١ / ١٧٦ - ١٧٧، وغيرها من المصادر.

٢ ولا شكَّ أنَّ الكثير من الأصوليين - من علماء العامَّة - يرون هذا الرأي في قول الصحابي، وإن كان هناك شرذمة منهم مثل ابن حزم وابن تيميَّة يرون أنَّ كل الصحابة على صواب، وأنَّ قولهم حجَّة مطلقاً.

حيث نُسِبَت الصحبة لمن لم تتحقّق فيه، حيث قد وُجِدَ الكثيرُ ممَّن ادعي له المصداقيَّة للصحبة، ولم يكن كذلك، أو كان منهم ثمَّ بانَ عنهم بأنْ أساء الصحبة ولم يحترم حقَّ العِشْرَة مع النبي صلى اللّه عليه وآله في حياته أو بعد مماته صلى اللّه عليه وآله.

إذ إنَّ ممَّن ادّعيت له الصحبة من ثبت ارتداده عن الدين بعد أن تَدَيَّنَ به، وهم كثر، وليس ذلك ممَّا يدعو للعجب، إذْ إنَّ من بين الصحابة - على ما عرَّفوا به الصحابيّ الذين يعدّون بالآلاف - من ليس مصوناً عن السُنَن التاريخيَّة أو الاجتماعيَّة، أو معصوماً عن الآثام النفسيَّة للإنسان ككائن بشريّ قد تغلب عليه النفس الأمَّارة بالسوء، ويغلب عليه هواه، وحبُّه الجاه والسلطانَ لأن يرتكب ما يخالف أوامر الرسول صلى اللّه عليه وآله ونواهيه، والشواهد على ذلك كثيرة من الصحاح فضلاً عن كتب التاريخ والسيرة.

هل في آيات القرآن الكريم إشارة الى كون الصحابة أفضل الناس

وبعد هذه المقدمة ندخل في البحث ضمن نقاط:

النقطة الأولى: بعد أن استفتح الكاتب موضوعه ببضع آيات من الكتاب العزيز ذكر أنَّ الآيات صريحةٌ في التلازم بين الرسول الكريم وأصحابه، من حيث تبيينها لوظيفة الرسول بين صحبه، وهو قد قام بها أفضل قيام، وعلَّمهم وربَّاهم أفضل تربية[1] فلا شكَّ وأنّ المتربّين تحت يده، والمتعلّمين بتعاليمه سيكونون أفضل الناس بعده صلى الله عليه وآله.

ولنقرأ معاً هذه الآيات، لنرى هل أنَّ في شيءٍ منها إشعاراً، فضلاً عن التوصيف، فضلاً عن الدلالة على ما يدعيه هذا الكاتب، من تلازمٍ أم لا؟

---

١ صحبة رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله: ص ٥ – ٨.

قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَابعَثْ فِيهم رَسُولاً مِنْهم يَتْلُو عليهم آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهم الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهم إِنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ الحَكِيم﴾[١].

وقال تعالى: ﴿هوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِينَ رَسُولاً منْهم يتْلو عليهم آيَاتِه وَيُزَكِّيهم وَيُعَلِّمُهم الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِين﴾[٢].

فما ترشد إليه هذه الآياتُ هو أنَّ اللّه بعث النبي صلى اللّه عليه وآله لتعليم الناس ولتزكيتهم وتربيتهم، فهو بيانٌ للغاية من البعثة، ولا يختص ذلك بخصوص الصحابة، فليس فيه ما ادّعاه الكاتب من التلازم بين الرسول كمعلِّم والصحابة كمتعلّمين، بتوسط تحقّق تلك الغاية فيهم، بل فيها دلالةٌ على عكس مدّعاه ومطلوبه، وهو أنهم قبل مجيء النبيّ صلى اللّه عليه وآله وقبل تعليمهم كانوا في ظلمات الجهل والضلال، ولكن بعد أن علَّمهم النبي صلى اللّه عليه وآله ما ينبغي لهم العلم به، وما ينبغي لهم عمله؛ هل اهتموا جميعاً لِمَا أمر به صلى اللّه عليه وآله؟ وهل اتّبعوه؟ وهل خرجوا من الضلال إلى الهدى بأجمعهم؟

---

١ البقرة: ١٢٩.

٢ الجمعة: ٢.

هذا ما لا تتحدّث عنه تلك الآيات، و من كان له مسكة من عقلٍ يتوجّه إلى عدم الملازمة بين أن يكون المعلّم كاملاً، وبين أن يكون المتعلّمون استفادوا مما علَّمهم، والوجدان قائمٌ على ذلك.

وإلاّ فلو تمَّت تلك الملازمة لحكمنا بتزكية كلِّ الأمم والشعوب التي سبقت ملَّتنا، إذ إنَّ الأنبياء - قبل نبيِّنا صلى اللّه عليه وآله - قد أرسلوا إلى أقوامهم ليعلَّموهم وليقوموا بتزكيتهم.

ولكنَّ هذا اللازم واضح البطلان كما لا يخفى.

وعلى هذا، فلا ربطَ بين ثبوت كلّ تلك الصفات للنبي صلى اللّه عليه وآله وبين عدم ثبوتها لمن كان معه من الناس؛ ممَّن قد يتوجّه لتعاليمه، وقد لا يتوجَّه لها، لعارض أو لمانع، ولو كان المانع هو عدم الرغبة فيها، فقد ورد عن بعضهم اشتغالهم بالصفق في الأسواق، فقد روى البخاري عن أبي هريرة: (إن إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق، وإنَّ إخواننا من الأنصار كان يشغلهم عمل أموالهم)[١].

وفي أخرى: (كان يشغلهم صفق بالأسواق)[٢]، وفي

---

١ صحيح البخاري: كتاب العلم، حديث ١١٥.

٢ المصدر السابق، كتاب البيوع، حديث ١٩٠٦.

ثالثة مثلها[1]، ورابعة كذلك[2]، وفي خامسة عن أحمد في مسنده[3]، وفي سابعة (من المهاجرين كانت تشغلهم صفقاتهم في الأسواق، من الأنصار كانت تشغلهم أرضوهم والقيام بها)[4].

إذن، فإمَّا أن ينكروا هذه الروايات، ويلزم منه أحد أمرين:

١ - أن يردّوا بعض ما اتّفق على صحّته، وهو ما وجد في صحيح البخاري ممَّا يرويه هذا الراوي، ولم يكن معلّقاً، وهذا يفتح الباب على مصراعيه للتشكيك والردّ لكثير من روايات البخاري.

٢ - أن يمنعوا صدور مثل هذه الروايات عن أبي هريرة، وهذا أيضاً يفتح الباب للتشكيك في الكثير من مرويَّات هذا الرجل[5].

---

١ المصدر السابق، كتاب المزارعة، حديث ٢١٧٩.

٢ صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنَّة، حديث ٦٨٠٧.

٣ مسند أحمد، باقي سند المكثرين، حديث ٦٩٧٦.

٤ المصدر السابق.

٥ وفي الواقع ما فتئ أرباب البحث والتحقيق من العامة والخاصة يوماً فيوماً يظهرون المزيد من غوامض حياة هذا الرجل، ولقد بيَّن بعضها قبل ثلاثين عاماً الشيخ محمود أبو رية في كتابه شيخ المضيرة وسبقه السيد عبدالحسين شرف

فليس باختيار الكاتب أن يمنع أو أن يثبت ما شاء له قلمه أو مِقَص رقابته، وقد اتفق العلماء، وممَّن يعتمد على قوله منهم، على صحَّة كلّ ما رواه البخاري في صحيحه، مما لم يُعَلِّقْه، ووجوب العمل به. فهو إلزام لهم بما لا مفرَّ منه.

وإمّا أن يعتقدوا بصدور هذه الروايات، ويتمُّ الحفاظ على مرويّات البخاري ،إلاّ أنَّها ستكون مبتلاة بهذا الإشكال، وهو انشغال الصحابة عن النبي صلى اللّه عليه وآله وعن تعاليمه، فيثبت مدَّعانا من عدم توجّههم إلى تعاليم النبي صلى اللّه عليه وآله[1].

الدين، وتلاهما الكثير ممَّن تتبع أثر هذا الصحابي، وفي هذه الأيام وصلت بأيدينا رسالة لمؤلف مغربي وهو الدكتور مصطفى بو هندي، واسم الرسالة «أكثر أبو هريرة» شكَّك فيه ثبوت أصل صحبته للنبي بروايات من قِبَلِه نفسه، وأنَّه كان قد سافر إلى طور سيناء للقاء كعب الأحبار فتلا عليه أموراً من التوراة، وهذا يوجب التشكيك فيما يرويه عن النبي ، خاصة، وأنَّه كان يهودياً، وكعب الأحبار لم تخرج اليهودية من قلبه كذلك، بشهادة الخليفة الثاني، ولعله أظهر الإسلام ليكيد له، بل ما تكشف عنه كلماته وآثاره، وكلمات أمير المؤمنين وأبي ذرّ وغيرهم من الصحابة حيث يصمونه بابن اليهودية وباليهودي، وفي هذا أكبر دليل وموجب للتشكيك في مرويات هذا الرجل وصاحبه!! خاصة الروايات الإسرائيليَّة.

١ سيأتي في ما بعد ما يشير إلى هذا من فعل بعض الصحابة ؛

وكذا يلزم عليهم ما ندّعيه في المقام من عدم الملازمة بين ما بُعث لأجله النبي صلى الله عليه وآله وما أدَّاه من وظيفة، وبين التزامهم بتعاليمه صلى الله عليه وآله فيثبت مدَّعانا من عدم التزام الكثير منهم بتعاليمه، بل عدم مداومة حضورهم عنده للتعلّم والاستفادة من علمه صلى الله عليه وآله والأخذ عنه صلى الله عليه وآله.

ثمَّ ما الذي يقصده من قوله: (نصوص صريحة)؟ فأيّ صراحة فيها؟ وليس من حجَّة عند العقلاء إلاّ النصوصيَّة أو الظهور، والفرض أنها ليست نصاً في المدّعى، كما لا يدعيه هو، فإنَّ النص ما لا يقبل التأويل، ولا ظهور - أيضاً - فإنَّ الظاهر منها ما ذكرناه آنفاً، وما عداه يحتاج إلى قرينة معيّنة، أو صارفة عن غيره، وأنَّى له هذا!؟ إن كان يتكلّم على طريقة العرف في محاوراتهم!

بل جُلُّهم، وكفانا أن نتوجه لما يمكن وروده عليهم من النقص في ما لو أسقطوا مرويات أبي هريرة فقط عن البخاري، فهي بما يساوي ٢٦ ٪ من كل رواياته.

هل اختار الله لنبيه خير الأصحاب؟

النقطة الثانية: لقد ادّعى أنَّ من كمال نعم اللّه على نبيَّه أن اختار له خير الأصحاب فهماً ورجولة وشجاعة.... إلى آخر ما ذكر.

وهذا أمر مسلَّم في الجملة ولكن.. لنا معه في ذلك عدَّة مواقف:

الموقف الأول

لا شكَّ أنَّ اللّه عزَّ وجلَّ لما اصطفى نبيه لم يستشر أحداً في ذلك وهذا معلوم لكل أحد، وحينما أرسله فإنَّما أرسله إلى الناس كافَّة، ولكنَّ التبليغ والإنذار كان أولاً لقومه، ثمَّ شيئاً فشيئاً تدرجت الدعوة حتى عمَّت الخافقين، ولم يكن قبول دعوته من قِبَل الناس شرطاً

في صحَّة تلك الدعوة، بحيث إنه لو لم يقبل أحدٌ منهم دعوته لزم بطلان نبوته، وهذا مسلم أيضاً، إذن فالنبي نبي ورسول من الله عزَّ وجلَّ سواء قبلوا أم رفضوا، فهو نبي بالحق قد جاء من عند الحق شاؤا أم أبوا، اتبعوه أم خذلوه.

ثمَّ إنَّ دعوته لهم إنَّما كانت لرفع جهالتهم ودحض باطلهم وضلالهم، فهم الذين كانوا محتاجين لدعوته، وبمجيئه لهم تتم النعم عليهم وتكمل معارفهم، فهم أهل الحاجة للتكميل بالتصديق بنبوته[1]. ولكن، هل صدَّقوا أم كذَّبوا؟

هذا ما لا يفصح عنه الكاتب مخافة انكشاف بعض تلك الصفحات المظلمة من تاريخ مَنْ نسب أو ادعى لهم الصحبة، ومن والاهم ليس إلاّ.

الموقف الثاني

ما يتعلق بدعواه أنَّهم خير الأصحاب فَهمَاً.

فهذا ما تكذّبه الروايات المتناثرة هنا وهناك في

---

١ فاقرأ قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ فإنَّ خطاب إكمال الدين وإتمام النعمة متوجه للناس.

صحاحهم وغيرها، وها هو الخليفة الثاني يقول: «ندمتُ على أمورٍ لم أسأل عنها رسول الله قبل وفاته.. ومنها أنَّه مات رسول الله ولم أسأله عن قوله تعالى: ﴿ وفاكهةً وأبًّا ﴾[1].

وكفى بهذا نفياً للفهم الكامل عند هذا المؤلّف، وإلاّ فالشواهد كثيرة.

وأمَّا الرجولة؛ فهل يقصد أنَّهم كانوا أصحاب كلمةٍ نافذةٍ؟ وهذا المعنى الكنائي المراد منها.

أم يقصد أنَّهم كانوا أصحاب مواقف عظيمة في الحقّ، فهذا لا ينكره أحدٌ، لكنَّه كان لبعضهم لا مطلقاً.

وكذا الكلام في صفة الشجاعة، وقد كان المبرَّز فيها أمير المؤمنين عليه السلام بل إنَّ أمر شجاعته ممَّا ثبت بالتواتر المعنوي.

ولكنَّ غاية ما يثبت بالذي ساقه المؤلّف: أنَّ بعض صحابة الرسول كانوا أهل فهمٍ ورجولةٍ وشجاعةٍ؛

نقول له: ثمَّ ماذا؟ وهل يتصوّر منه أن يثبت به أن كلّ صحابة النبي صلى الله عليه وآله وعددهم ينوف على الآلاف، كانوا كذلك !!؟ إنَّ هذا لممَّا يُضحك الثكلى!

---

١ سورة عبس، آية ٣١.

الموقف الثالث

ما رام إثبات مدّعاه من خلاله وهو قول النبي صلى الله عليه وآله: «الناس معادن فخيارهم في الجاهليَّة خيارهم في الإسلام، إذا فقهوا»[1].

فبالإضافة للمناقشة في سند هذه الرواية، فإنَّ المناقشة في دلالتها واضحة، بل حتى لو تمَّت دلالتها فغاية ما تثبته هو أنَّ كون الرجل من أهل الخير في الجاهليَّة فهو كذلك في الإسلام، بشرط التفقّه في الدين، وهذا أجنبي عمَّا يروم المؤلف إثباته إطلاقاً.

و لا ينقضي عجبي من هذا الكاتب، فإنَّ كلّ استدلالاته بهذه الصورة، فهو يتوهم أو يتقصد هذا النحو من الكلام، بأن يذكر الوصف المطلوب تحقّقه من

---

١ صحيح البخاري: ٦ / ٢٩٨ ومسلم برقم ٢٥٢٦ باب خيار الناس، إذ إنَّ آفة هذا الحديث هو انتهاء جلِّ - بل كلِّ - طرقه لأبي هريرة، وفيه ما فيه، علاوة على وجود حرملة بن يحيى الذي يروي عنه مسلم كثيراً وقد قال عنه أبو حاتم: يُكتَبُ حديثه ولا يحتج به، وقال عنه ابن عدي سألت عنه عبدالله بن محمد الفرهاذاني؟ فقال: ضعيف، ولم يجوز أحمد بن صالح الرواية عنه، وأمَّا من جهة المتن ففي تتمته: «..وخير الناس في هذا الأمر أكرههم له قبل أن يقع فيه...» ولعل في هذا إرادة المدح والتقرب من قبل أبي هريرة إلى بعضهم ممَّن كان شديداً على الدين قبل تظاهره بالإسلام.

الصحابة، ومن ثمَّ يدّعي ثبوته فيهم كلِّهم، وكأنَّه أمرٌ مسلَّمُ الثبوت، وممَّا لا يقبل النقاش أو الإنكار.

أخي الكاتب - وأنت يا أخي القارىء - ثبِّت العرش ثمَّ انقش، فلو قال لك شخص: إنَّ في الطريق مَن اسمه زيد، فهل يثبِت هذا أنَّ كلَّ مَن في الطريق، اسمه زيد!!؟

الموقف الرابع

إنَّ الإنسان العاقل يسير بقدر ما يسير به الدليل مرشداً لطريقه، فأنَّى يوجهه يختار، ولا ينبغي له أن يوجه هو الدليل ويكيِّفُه ويطوِّعه كما يشاء، فإنَّ هذا هو الانحياز، وعدم الحياد العلمي بأن تجعل الدليل طوع هواك وطبق رؤاك، وهو أمر ممقوت من كل أحد، ولذا نقول: قد صحَّت الآيات بأنَّ الرسول جاء لتزكية المدعوِّين ولتعليمهم وتربيتهم، وقد فعل ما كُلِّف به وأدَّى ما حُمِّل، ولكن وردت روايات تاريخيَّة موثقة أو أحاديث مصححة ممَّن لا يمكن الطعن عليه فيها، وهي تثبت أنه قد صدر من بعض أولئك الصحابة ما يخالف تلك التربية التي أداها النبي صلى الله عليه وآله بل ما يخالف الدين كلاًّ، والعقل السليم، فيلزمنا أحد أمرين:

إمَّا أن نقول - والعياذ بالله - إنَّ الرسول قد علَّمهم

وربـاهم على ذلك الأمر المشين. وهذا هو الكفر بعينه، كما هو بعيد عن ساحة قدسه صلى اللّه عليه وآله.

وإمَّا أن نقول بأنَّ ما صدر منهم إنَّما هو من فعلهم الخاص بهم، والذي لم ينص عليه النبي صلى اللّه عليه وآله بل لا يرتضيه، وهو مخالف لما أراده صلى اللّه عليه وآله[١].

ولا شكَّ أن لازم القول الأوّل رمي النبي صلى اللّه عليه وآله بالنقص، ونسبة عدم حسن تبليغ الرسالة إليه ! وهذا ينافي الآيات والروايات المثبتة لعصمته صلى اللّه عليه وآله وأنه لم يقصر في التبليغ.

بينما لا مانع من الالتزام بالقول الثاني، إذ ليس فيه نسبة طعن لساحته صلى اللّه عليه وآله وليس فيه إلاّ إثبات ما يمكن أن يصدر من أي فرد غير معصوم قابل لصدور الخطأ منه[٢].

---

١ ولذا فقد ذكروا في بعض قضايا خالد بن الوليد قتله عامر بن الأضبط بعد إظهاره الإسلام والسلام، وغضب النبي لذلك وقال اللهم إني أبرأُ إليك مما فعل خالد – قالها ثلاثاً – وسيأتي ذكر مصادرها.

٢ والمشكلة الكبرى التي يعيشها الكاتب وأمثاله هو أنَّهم قد ولدوا ودرجوا على هذه الهالة القدسيَّة لمن صَاحَبَ النبي أو عاش معه في زمانه أو روى عنه، وكأنَّ تلك الأمور توجب العصمة لهم،

إن قلتَ: يمكن لنا أن نختار شقّاً ثالثاً وهو تكذيب تلك الروايات.

قلتُ: مضافاً إلى كثرة تلك الروايات بحيث لا يمكن تكذيبها كلّها، فإنَّ الموجب لتكذيب الخبر ما هو؟

إنَّ الموجب لتكذيبه إمَّا:

١: لمخالفته لضروري النقل أو ضروري العقل.

٢: وإمَّا وجود ما ينهض بمعارضته من النصوص الأخرى.

ولا يخفى أنَّ فيما ينقل من وقائع وقعت أو حوادث صدرت من بعض الصحابة، والالتزام بذلك فيها ليس فيه خلاف لضروريٍ من عقل أو نقل، كما ليس فيها روايات أخرى معارضة لها حتى يلزم تساقطهما، والفرض عدم وجود آية تثبت العصمة لهم جميعاً حتى يصار إلى تأويل تلك الروايات مهما أمكن.

كما أنَّ الروايات قد وردت لنا من قبل أشخاص لا يمكن الطعن عليهم كما لو كانت في الصحيحين أو

وابتنت عقولهم على ذلك لأجيال متتالية ومترامية الأطراف والأشخاص، ولمسافات فكرية معمقة من قبل الأيدي الخبيثة المغرضة التي ما فتئت تعبث بالتاريخ والحديث والسيرة إرضاءً لأيدي غريبة عن الدين، واللّه المستعان، ولا حول ولا قوّة إلا باللّه العلى العظيم.

المسانيد الأخرى بشرط الشيخين، وهكذا في كل رواية، ولو كانت من كتاب غير تلك الكتب، وكانت جامعة لشرائط صحَّة الخبر.

ولو التزم بسقوطها للزم التخلّي عن علم الحديث والرجال، وبالتالي يجوز لهم أخذ كلّ حديث دون البحث في سنده أصلاً، وهو كما ترى!

الموقف الخامس

لا يمانع أحدٌ، بل ممَّا لا يُنكَر: أن الرسالة المحمديَّة، و الهدي النبويّ الشريف هو نعمةٌ عظيمةٌ، بل هي من أعظم النعم على الصحابة بل على الأمَّة جمعاء، وكما قال تعالى في آخر الآية المذكورة: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾[1].

ولكنَّ السؤال الذي يبقى بلا إجابة بعدُ: هل أدّوا حقَّ تلك النعمة؟ وهل شكروا للّه ذلك الفضل الذي هم فيه؟ فقد قال تعالى: ﴿قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾[2].

فهل تودَّدوا لذوي القربى أو عَادَوْهم؟.

---

١ سورة المائدة: ٥٤.

٢ سورة الشورى: ٢٣.

وقد كان هذا أمراً يسيراً في مقابل تلك النعمة العظيمة، والفضل الإلهي الكبير، والذي لم يؤدّوه كما ينبغي، وقد دلَّت على ذلك الروايات الكثيرة في الصحاح وغيرها.

الموقف السادس

قد قالوا في فقه القضاء: (البيّنة على المدّعي، واليمين على من أنكر).

وقد ادَّعى الكاتب: أنَّ هناك ملازمةً بين المحبَّة للرسول، والاعتقاد بأنَّه أدّى الأمانة، وبين تعديل الصحابة الذين أخذوا عنه الحديث، وعاش بين أظهرهم، وأنَّ الطعن فيهم طعنٌ في إمامهم وقائدهم !

فما هي بينته على ذلك !؟ ففي كلّ ما عرضه لم يأتِ لنا بدليل على ما ادَّعى، لا شكَّ إذن أنَّه يرسل الكلمات جزافاً.

فإذا تبيَّن للمنصف العاقل أن لا بيّنة للمدعي، ظهر له أن لا ملازمة بين الأمرين قطّ، بل قد يجتمعان في واحدٍ ويفترقان في آخر، والتاريخ وتراجم الرجال فيها من الشواهد ما تُملأ به الصفحات.

هل في القدح بعدالة بعض الصحابة إغضاب للنبي صلى الله عليه واله؟

النقطة الثالثة: وفيها عدَّة إشارات مع هذا الكاتب:

الإشارة الأولى

لقد حاول ثانية أن يضرب على وتر الصحبة والملازمة بين المعلّم والمتعلّم؛ فادعى بأنَّ وِزَانَ الرسول مع صحبه وِزَان رئيس القوميَّة أو الدولة مع أعوانه والمقربين منه، فيما لو جاء شخص يدعي انتسابه إليهم، ولكن يطعن في المقربين من الرئيس ويصفهم بالخونة، فلاشكَّ أنَّ هذا الرئيس سيغضب لذلك ولن يرضى أن يوصف المقربون منه بتلك الصفات، وهنا عدَّة أمور:

الأول: لقد قاس الرسول الأعظم بمقياسه الصغير على أنه رئيس قوميَّة أو دولة، ولكنَّ هذا القياس مع الفارق؛ لأنّ رئيس الدولة هو الذي اختار بطانته وقرَّبهم وجعلهم مختصين به، بينما لم يجعل الرسول جميع

صحابته من المقرّبِين له، بل كلامك أخذ للدعوى في الدليل في الواقع، وهو مصادرة على المطلوب.

علاوةً على تفرّع ما ذكره عن عقيدته القاصرة في النبي صلى الله عليه وآله بأنَّه قابل للخطأ، ولذا صحَّ له مثل هذا القياس، والحقّ عندنا عدم صحَّة ذلك، بل الأدلّة العقليَّة والنقليَّة قائمة على بطلان ذلك، وهي قائمةٌ على أنَّه صلى الله عليه وآله معصوم عن الخطأ في كلّ شيء وكفانا دلالة قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾[1].

الثاني: لو اكتشف أحد الرعيَّة خيانةً من مقرّبي الرئيس ونسبها إلى الرئيس أو كانت سوف تحسب عليه بما سيشوِّه سمعته عند الملأ، فلاشكَّ أن كشف هذه الخيانة وتبرئة الرئيس منها ليست ممَّا يغضب الرئيس، بل هي ممَّا يُسرُّه!!؟

الثالث: قد جعل اعتبار الرسول لصحبه ولقربهم منه كاعتبار رئيس البلد أو القوميَّة لذلك، وهذا لو سلَّمناه في حدّ ذاته[2] لم نسلِّم صدوره من النبي صلى

---

١ النجم: ٤ – ٥.

٢ وإن كان من حيثيات أخرى قد يوجب منقصة في النبي، وذلك لكماله صلى الله عليه وآله ونقصهم، ولعصمته وقابليتهم للخطأ.

اللّه عليه وآله بنحو عام، فلنا أن نسأله: هل كان اعتبار الرسول لكلّ الصحابة أو لبعضٍ منهم؟ وهم خصوص من كان يرى فيهم الإخلاص والتقوى والامتثال لأوامره والانتهاء عن نواهيه؟ لا أشك في عدم اختيارك للشقّ الأوّل بل لابدّ أن ترجّح للشقّ الثاني، وإلا فتعالَ لنقرأ تاريخ الصحابة واحداً واحداً، وَلْنرِي العَالَمَ أَجْمَع كيف أنَّ بعض من تسمِّيهم بالصحابة كانوا على شكّ من الرسول في إخباراته[١]؟ وفي أوامره ونواهيه[٢]؟ بل حاول البعض منهم التعرّض لقتل النبيّ حين دحرجوا عليه الدباب[٣] بل لم يقبلوا منه قط تبليغاته المتكررة في ابن عمه ووليّ أمرهم بعده بلا فصل عليّ بن أبي طالب[٤].

---

١ راجع واقعة صلح الحديبيَّة وقول بعضهم: ما ارتبت ارتياباً قبل اليوم، وفي رواية أخرى: ما شككتُ مثل اليوم..، وستأتي مصادر هذه القضية، فانتظر.

٢ سيأتي منَّا بيان لبعض الموارد التي صدرت منهم وكانت صريحة في الامتناع عن امتثال أوامر النبي صلى اللّه عليه وآله، كما في إحلاله وذبحه الهدي وشكواه أمر أصحابه لزوجه أم سلمة، وكما في «أنحجّ ورؤوسنا تقطر؟» صحيح البخاري: ٢ / ٥٩٤ رقم ١٥٦٨، وكما في اعتراض البعض عليه في توقيع الصلح مع قريش..و..و.

٣ وهي قضية العقبة ومرور النبي بها فحاول جماعة من أصحابه قد تآمروا على قتله، وسيأتي ذكر مصادرها.

٤ وقضية الحارث بن النعمان مشهورة مسطورة في الكتب،

الثالث: ونسأل الكاتب المعاصر ونخاطب وجدانه: ألم تجلس على مقاعد الدراسة عبر ترقياتك العلميَّة، ووجدت من الطلاب من لم يوافق أستاذه في عرض بعض الأمور أو في القبول بها؟ بل ألم يكن منك أنت بنفسك مثل هذا الأمر في أن ترفض أو تعارض بعض ما يعرضه أستاذك ومعلّمك من أمور سواء في مادة البحث أو في منهجه؟ بل حتى ولو لم تبدِ هذا المعنى لأستاذك حينئذٍ لكن ألم يكن في قلبك شيءٌ منه؟

كل هذا وكلاكما غير معصوم عن الخطأ في اللسان ولا في الجَنَان ولا في الاعتقاد، ولكنَّ الفارق بينكم وبين الصحابة - مع أنَّهم كانوا كذلك غير معصومين - أن معلمهم كان معصوماً بإجماع المسلمين وضرورة العقل

حيث إنَّه لما اتصل إليه خبر تصيب النبي علياً ولياً ومولى للمؤمنين أتى النبي فقال له: أمرتنا بالصلاة فصلينا وبالصوم فصمنا وبالحج فحججنا وبالزكاة فزكينا أموالنا، ولم تكتف بذلك حتى نصبت ابن عمك علينا وليًّاً، أهو أمر من الله أم من عندك؟ قال صلى الله عليه وآله بل هو من عند الله، فخرج وهو يقول: «اللهم إن كان من عندك فأنزل علينا حجارة من السماء» فذهب نحو دابته ليركبها فما أتم ركوبه حتى نزلت عليه حجارة من السماء فوقعت على رأسه وخرجت من دبره فمات من حينه» فراجع تفسير قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾.

والنقل، وأنهم رأوا النبي صلى اللّه عليه وآله دونكم.

وإلى هنا نصل إلى نتيجة وهي: أنَّ غير المعصوم قابل للخطأ ولكنَّ المعصوم لا نتصور تحقق أو صدور الخطأ منه، وأنَّ الاشتباه من غيره - ولو كان هذا الغير هو من الصحابة - يمكن تحققه وصدوره، وأنَّ الاختلاف مع المعلِّم يمكن صدوره أيضاً، ولكنَّ الأمر المهم والمتبقي هنا هو أنَّ الاختلاف مع المعلّم أمر طبيعيّ لو كان غير معصوم وقابلاً للخطأ، لأنَّه بشر ولكنَ اختلاف الصحابة مع نبيهم ومعلمهم أليس قبيحاً؟ وعدم انصياعهم لأوامر نبيهم أليس قبيحاً؟ بل ألم يكن عدم اعتقادهم بما يقول فضيعاً منهم وأمراً شنيعاً؟

لا تقل لي: كلّ ذلك لم يصدر، وأنَّ كلّ ما ذكره المؤرّخون محض أساطير وأكاذيب لفَّقوها.

فإنَّ ما أستندُ إليه في دعواي هذه ليس تلك الكتب التاريخيَّة؛ بل هي روايات الصحاح والأسانيد.

وإنَّ مقتضى قواعد البحث العلمي أن تكون ممَّن يتبع الدليل لا ممَّن يُطَوِّع الدليل كما يشاء، أو يقبل منه ما يوافق هواه ويرفض ما يخالفه.

والمصادر موجودة بين يديك، وليس عليك إلا الخلوة بنفسك متأملاً في الروايات متصفحاً لكتب

التأريخ، ولا تقل: «إنَّ تلك الكتب كلّها أساطير»، فتكذب كلّ ما لا يوافق رأيك.

ويا ترى: هل يبقى لك كتاب تعتمد عليه؛ لو رددتَ كلّ ما خالف هواك؟

الإشارة الثانية

وأمَّا ما تعرضتَ له من أنَّ ذمّهم يسقط مباشرة وبلا تأنٍ، وذلك في مقابل مدح رئيس الدولة أو القوم لهم، وفي مقابل كلّ من يذمّهم.

فأين قد صحَّ عن النبيّ الأكرم أنَّه مدحهم عامّة ومطلقاً؟

ثمَّ لو صدر عنه مدح لبعض الصحابة، حتى ما كان بعنوان الصحابة فلابدَّ من صرفه إلى خصوص الذين اتبعوه بإحسان وأحسنوا الصحبة، وبذلوا أنفسهم دونه، لا كلّ من تحقق أنه صحب النبيّ بالمعنى الذي ذكرته أوَّل الرسالة، وهو من آمن بالنبيّ وصحبه ولو لفترة من الزمن ومات على ذلك.

فما العبرة فيمن آمن بالنبيّ وصحبه مدَّة حياته أو مدَّة حياة النبي صلى الله عليه وآله لا حبَّاً في الإسلام؛ وإنَّما لسلطان النبي صلى الله عليه وآله أو لوجاهة

بين الناس، وما أكثر أغراض الناس واختلاف أهدافهم وغاياتهم في التقرب من الرؤساء، هذا أوّلاً.

وثانياً: لو فرضنا صحَّة مدح النبيّ للصحابة؛ فقد ثبت عندنا ورود ذمٍّ لبعضهم أو لبعض الصفات الموجودة فيهم، و ثبت عندنا من روايات بطريق صحيح غضب النبي على بعضهم، وعدم رضاه عنهم أو تبرؤه مما عملوا، وثبت من بعض الروايات أنَّه قد صدر منهم بعد وفاته صلى الله عليه وآله ما لا يُرضيه لو كان حيّاً بين أظهرهم.

فطريق الجمع بين الأمرين أن نخصص المدح الوارد في الصحابة بمن لم يصدر منه ما يشين الصحبة ويباعدها عنه.

لا أن نردَّ كلّ تلك الروايات الواردة في حقِّ بعضهم ممَّا ينافي روايات المدح.

الإشارة الثالثة

لو دار ثبوت العيب بين ثبوته للمعلِّم أو للتلاميذ أو للناقد لهم، فهنا نُعمِل القواعد العلميَّة المستندة للعقل السليم.

فنرى أنَّ المعلِّم؛ فيما لو كان معصوماً وقد بذل

جهده في التعليم والتربية والتزكية لهم؛ فهو خارج عن عنوان ثبوت العيب فيه.

وأمَّا التلاميذ: فهل تعلَّموا كلَّ ما علَّمهم؟ وهل وعوا وعملوا بكل ما تعلَّموا؟ أم تخلَّف العالم منهم عن العمل؟. إنَّ هذا ما تهدينا إليه بعض الآيات والروايات الواردة في الصحاح، حيث تثبت عدم انصياعهم لكل ما قاله معلِّمهم وقائدهم.

١ - فاقرأ معي هذه الآية: ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا ﴾[١]. فقد نزلت في بعضهم يوم غدير خمٍّ لما رأوا النبي صلى الله عليه وآله رافعاً بيد عليٍّ قالوا: «انظروا إلى عينيه كأنَّهما عينا مجنون»، وقيل هو الجُلاَس بن عبيد، أو سويد، ولكنَّه تاب بعد ذلك عمَّا قال[٢].

٢ - واقرأ معي أيضاً قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ ﴾[٣] فالذين في

---

١ التوبة: ٧٤.

٢ سيأتي مصدرها لاحقاً.

٣ محمد: ٢٠.

قلوبهم مرض هم من الذين آمنوا، ومن الصحابة، لأنَّ المفروض أنَّهم آمنوا وهم مع النبي صلى الله عليه وآله.

ثمَّ أَكْمِلْ تلاوة السورة معي، وَقِفْ عند قوله تعالى:

﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ * وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ... ﴾[1].

واقرأ قوله تعالى: ﴿ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ﴾[2]، فمن الذي تثاقل عن النفور للجهاد غير الصحابة من الكفَّار والمشركين؟ هل هم المؤمنون أم غيرهم؟

٣ - واقرأ معي قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا ﴾[3] ففي البخاري[4]: (أقبلت عيرٌ يوم الجمعة ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم فثار الناس إلا اثني عشر رجلاً فأنزل الله: وإذا رأوا تجارةً...)[5].

---

١ محمد: ٢٩ - ٣٠.

٢ التوبة: ٣٨.

٣ الجمعة: ١١.

٤ صحيح البخاري: ٤ / ١٨٥٩ برقم ٤٦١٦.

٥ وفي تفسير الكشاف للزمخشري: ٤ / ٥٣٦ - ٥٣٧: قيل: بقي معه ثمانية، وأحد عشر، واثنا عشر، وأربعون، فقال عليه

وأمَّا في الروايات: ففيها الكثير ممَّا يثبت عدم انصياعهم لأوامره صلى اللّه عليه وآله.

فمنها: ما ذكره البخاري في صحيحه من أنَّه لمَّا تمَّ صلح الحديبيَّة وهمَّ الرسول بالإحلال بالهدي أمر أصحابه بالذبح؛ فلم يقم منهم أحدٌ؛ فأمرهم ثانية وثالثة، فلم يستجيبوا، فدخل إلى خيمة أم سلمة، واشتكى إليها أصحابه، فقالت له: لا عليك منهم اخرج واذبح الهدي، فلما خرج وذبح هديه قاموا متثاقلين الواحد والإثنين»[١].

بل فيها: «جاء عمر للنبيّ وقال له: أولستَ نبيّ اللّه حقّاً؟! قال: بلى.

قال: أو لسنا على الحقّ، وعدوّنا على الباطل؟ قال: بلى.

السلام: «والذي نفس محمد بيده لو خرجوا جميعاً لأضرم اللّه عليهم الوادي ناراً»، وفي هامش التفسير..وأصل هذه القصة في الصحيحين من رواية حصين عن سالم..وفي لفظ مسلم: «منهم أبو بكر وعمر» وفي رواية: «وأنا فيهم»، أقول: فهل يمكن بعد هذا أن نحكم على كل الصحابة بأنَّهم عدول ولا يمكن التعرض لهم بالنقد والتجريح وقد آذوا النبي وتركوه قائماً؟؟ والغريب من بعضهم تعليله فعلهم بأنَّ وقتئذٍ لم يكن الاستماع للخطبة واجباً، فاسمع واعجب!!.

١ صحيح البخاري: ٢ / ٩٧٨، صحيح مسلم: ٣ / ١٤١١

قال: إذن؛ فلم نعطي الدنيَّة في ديننا؟

قال: إنّي رسول اللّه، ولستُ أعصيه وهو ناصري، أو قلتُ لك تحجّ البيتَ العامَ؟

قال: لا، فرجع ولقي أبا بكر فقال له ما قال للنبيّ فأجابه بما أجابه، فرجع عنهما، وهو يقول: فعملتُ لذلك أعمالاً)[١].

ومنها: في حجَّة الوداع لمَّا أمرهم بالإحلال ثمَّ الإحرام للحجّ جاءه بعضهم، وقال: (يا رسول اللّه ننطلق إلى منى ورؤوسنا تقطر..!؟)[٢].

ومنها: ما في صحيح مسلم[٣] من ظهور ضيق صدور الصحابة من أوامر النبيّ صلى اللّه عليه وآله: (أهللنا مع

---

١ وفي المصدر هكذا: قال الزهري: قال عمر: فعملت لذلك أعمالاً.

٢ صحيح البخاري: ٢ / ٥٩٤ رقم ١٥٦٨.

٣ صحيح مسلم: ٢ / ٨٨٤ برقم ١٢١٦، ونفس الحديث بلفظ البخاري: ٢ / ٥٩٤: ننطلق ورؤسنا تقطر، وبلفظ أحمد ٤ / ٢٨٦ و مسند أبي يعلى ٣ / ٢٣٣: فقال الناس: يا رسول اللّه قد أحرمنا بالحج فكيف نجعلها عمرة؟ قال: انظروا ما آمركم فافعلوا، فردوا عليه القول فغضب ثم انطلق حتى دخل على عائشة غضبان فرأت الغضب في وجهه، فقالت: مَن أغضبكَ؟ أغضبه اللّه، قال: وما لي لا أغضب وأنا آمر بالأمر فلا أتبع!!

رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم بالحجّ فلمّا قدمنا مكّة أمرنا أن نحلَّ ونجعلها عمرةً، فكبر ذلك علينا وضاقت به صدورنا...).

وفي لفظ الطبراني في المعجم الكبير[1]: (حتى إذا كان يوم التروية أمرنا فأهللنا بالحجّ، فقال بعضنا لبعض: خرجنا من أرضنا حتى إذا لم يكن بيننا وبين منى إلاّ أربع نخرج ومذاكيرنا تقطر منيًّاً!؟

فبلغ ذلك رسول اللّه فقال: أتتهموني وأنا أمين أهل السماء وأهل الأرض!؟).

ومنها: اعتراضهم وطعنهم في تأمير النبيّ صلى اللّه عليه وآله أسامة بن زيد على الجيش، وفيه: (فطعن بعض الناس في إمرته، فقام رسول اللّه فقال: «إنّكم تطعنون في إمرته كما كنتم تطعنون في إمرة أبيه من قبل...»)[2].

ومنها: ما صدر من عمر من منع النبيّ صلى اللّه عليه وآله وهو في أيامه الأخيرة أن يكتب كتاباً للهداية لا يضلُّ الناس بعده أبداً، فقال عمر: (إنَّ النبيّ قد غلبه الوجع وعندنا كتاب اللّه، فاختلفوا، وكثر اللغط، قال:

---

١ المعجم الكبير للطبراني: ٧ / ١٢٧.

٢ صحيح البخاري: ٦ / ٢٤٤، صحيح مسلم: ٤ / ١٨٨٤.

«قوموا عنّي ولا ينبغي عندي التنازع...»)[١].

وهذا غيض من فيض، وإنَّما ذكرنا هذه الموارد دفعاً لتغرير الكاتب بعدم مخالفتهم لتعاليم النبيّ صلى الله عليه وآله كأستاذٍ لهم ومعلِّم.

وإلا، فهي واضحة للعيان ولا تحتاج إلى برهان، وقانا الله سوء المنقلب.

ǰūăǩł Ǻǩǃ ŋƛƘƮdžǩł Ljūƛ Ǽə ǰūăǩł ŭΣƩǽ Ǩǵ
ÝǴǨǆƿ ǴǾǪŪ Żł ǺǪǄ ǼɯDzǩł Ǽə

وأما في رجوع العيب للطاعن وأنَّه يرجع طعنه فيهم للطعن في المعلِّم.

فهذا كلام مرفوض جملةً وتفصيلاً، فإنَّ الناقد البصير؛ فيما لو استند إلى مقدمات علميَّة تامّة واعتمد على أدلّة معتبرة عند الخصم، فنقده يكون نقداً قد صدر من أهله ووقع في محلّه، ولا يلزم من ذلك رجوع الطعن للمعلِّم، وذلك لفرض التفكيك بين المعلِّم وما جهد من تعليمهم، وبين التلاميذ الذين لم يحسنوا الوفاء للمعلّم...!!

هذا مع اعتبار حسن الصحبة والاحترام والتقدير

---

١ صحيح البخاري: ١ / ٥٤ برقم ١١٤.

لمن وَفَى منهم، وثبت حسن صحبته له صلى الله عليه وآله حتى انتقل إلى جوار ربّه.

Ǵǻƿƺ ƒ Ǽǝ ğǸƽƺǩǂ ŭǬ ƞǻǨƮǳǩǂ Ǉǰǜǻ ǛǸāƿ Ǩǵ
ÝǬǶǬǽƴǛơ Ǽǝ Ǜǭǩg ǳƷǨƥǻ ǬǶgƺɯơƿ ǴǬʂǨǩȵ ǭƿ

الإشارة الرابعة

تفاخره بما فعل من ادَّعى لهم حسن الصحبة بأنَّهم ممَّن وقفوا مع الرسول الأكرم في حروبه حتى بلغت القلوب الحناجر، ولم يتخلّوا عنه، يلحظون مجالسه وأنفاسه نفساً بنفس، ويتدافعون على فاضل ماء وضوئه.. إلى آخر كلامه.

ولقد قرب - هذا الكاتب - من نقل الحقيقة! فالحمد لله على الصحوة بعد الغفوة، ولنسأل الكاتب: في أيّة معركة هجم الكفارُ على المسلمين فثبتوا غير جماعة مخصوصة؟ أفي بدر لمَّا حملوا على النبيّ حينها نادى رسول الله صلى الله عليه وآله بعلي عليه السلام ليدفع المقاتِلَةَ من الكفار عنه؟ أم في غيرها؟ فارجع للنصوص تجد أنَّها تبين لك الواقع.

وهل سمعت في معركة من معارك النبيّ بشجاعة أو بسالة من غير أفراد منهم؟ وهل كانوا كلهم معروفين

بالمبارزة والقتال؟؟

وهاك مثلاً من معركة أُحُد: (لمَّا نزل الرماة عن جبل أُحُد ظنّاً بالنصر، وانتهاء المعركة، ومسارعة للغنائم، فَكَرَّ عليهم الكفّار، وفرَّ المسلمون) فمن بقي مع النبيّ يقيه بنفسه وبسيفه؟؟

وأينك عن غزوة حنين التي تحدّث عنها القرآن إذ أعجبتهم كثرتهم، ولمَّا باغتهم المشركون فرُّوا جميعاً، والعبّاس ينادي خلفهم: (يا أهل بيعة الشجرة، يا أهل سورة البقرة)!!

وهكذا في غزوة الأحزاب: من الذي برز لمقابلة عمرو ابن عبد ودّ، ذاك البطل الذي كان يعدّ بألف فارس؟ لولا برز له أمير المؤمنين عليه السلام وتنازلا القتال، وما انجلت الغبرة إلا وعلي عليه السلام قد رقي صدر عمرو واحتزّ رأسه، فكبَّر المسلمون وانهزم المشركون[1].

ولقد قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله يومذاك: «إنّ ضربة عليٍّ لعمرو أفضل من عمل الثقلين أو - عبادة الثقلين»[2].

---

١ سيأتي ذكر مصادرها حين الكلام في غزواته صلى اللّه عليه وآله.

٢ المستدرك للحاكم: ٣ / ٣٢، تاريخ بغداد: ٣ / ١٩، مناقب

وكذا في خيبر؛ فقد خرج أولاً أبو بكر ولكنَّه سرعان ما رجع يُجبِّن أصحابه، ثمَّ أعقبه عمر بن الخطاب ولم يزد على نظيره بأن رجع يُجَبِّن أصحابه وأصحابه يُجبِّنُونه، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لأعطينَّ الراية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كرَّاراً غير فرَّار»[1].

ولا يخفى ما في تلك الكلمات من تعريض بمن عداه ممَّن فرَّ أو هو كثير الفرار عن الأبطال[2] وكان ما أراد الله ورسوله من الفتح المبين لهم على يدي أمير المؤمنين عليه السلام.

وأمَّا مداومتهم على مجالس الرسول صلى الله عليه وآله وكثرة محادثته:

أخطب خوارزم: ١٠٤، المغازي للواقدي: ٢ / ٤٧٠ – ٤٧١، نهاية العقول للرازي: ١٠٤، ومصادر أخرى كثيرة، بل كل من تعرض للمعركة ذكر هذا إلا من أعمى الله بصيرته فلم يبصر الطريق إلى عليٍّ عليه السلام.

١ مسند أحمد: ١ / ١٥٨، ٢٨٤، ٣٥٨، صحيح البخاري: ٦ / ٢٩١، صحيح مسلم: ٢ / ٣٢٤ مع اختلاف بينها في الألفاظ.

٢ بل إنَّ نفس ذكر هذه الصفات لشخص في مثل المقام يستفاد منه عدم اتصاف غير من ذكرت له بها كما هو واضح، إلا أن تقوم قرينة على خلاف ذلك، كالقرينة الموجودة على أنَّ النبي لابدَّ أن يكون أشجع الناس.

فهذا ليس لكلِّهم وجميعهم، وإلاّ فهو ممَّا يكذّبه التاريخ وتكذّبه الكثير من أحوالهم، ففيهم مَن كان لا يفارق المسجد لأجل لقمة طعام لعلَّها تصل بيد الرسول صلى اللّه عليه وآله فيلقمها إيّاه[١].

ومنهم من شغله الصفق في الأسواق[٢]، وقد وردت إلى ذلك الإشارة في الآية القرآنيَّة: ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهوًا انفَضُّوا إِلَيهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا ﴾[٣].

Żł ÁǪDž ÆШDžkł TђKdžDz ηλKƮdžǩł ŭǿƷΣ ŭШơł Ǩǵ
ÝǴƷǿǩKŭơp ǴơłYK ǁ ƷFp ǴǩƋp ǴǿǪŪ

وأمَّا ما ذكره من أنَّه صلى اللّه عليه وآله لم يألُ جهداً في تعليمهم كلّ خيرٍ ونصحهم في الابتعاد عن كلّ شرٍّ وتحذيرهم من سوء عاقبته.

---

١ كما ذكر ذلك الصحابي الكبير عندهم أبو هريرة ؛ كما في صحيح البخاري: كتاب العلم رقم ١١٥ – كتاب البيوع رقم ١٩٠٦ – كتاب المزارعة رقم ٢١٧٩ – كتاب الاعتصام رقم ٦٨٠٧، وفي مسلم؛ كتاب فضائل الصحابة: ٤٥٤٧.

٢ وقد ورد بألفاظ متقاربة وأكثرها هكذا: إنَّ إخوتي من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق وإنَّ إخوتي من الأنصار كان يشغلهم عمل أموالهم» صحيحا البخاري ومسلم: الموارد السابقة.

٣ الجمعة: ١١.

فهذا أمر مسلَّمٌ، ولكنَّ السؤال هو: هل أنَّهم كلَّهم اتبعوا نصيحته صلى اللّه عليه وآله أم لا؟ وهل حذروا مما حذَّرهم منه ،أم لا؟

الشواهد والدلائل تقول: «لا، لا»، سوى البعض! وعلى المدّعي خلاف ذلك أن يأتي بالبيّنة على ذلك.

وأمَّا الاستدلال لإثبات ذلك بنفس صدور النصح والتحذير من النبيّ!

فهذا ضحك على الذقون لا يرتضيه ذو مسكة من عقل سليم.

الإشارة الخامسة: وأمَّا ما استشهد به من مقاتلَة أمير المؤمنين الذين انحرفوا عنه وحاربوه فهو لا يخلو من أحد أمرين:

فإمَّا أن يكون كلامه هذا على وزان كلامه في صحابة النبي صلى اللّه عليه وآله مع النبي صلى اللّه عليه وآله، والكلام فيه هو الكلام، لضرورة التفكيك بين المربي والمعلّم وبين التلاميذ، فهو توسيع لدائرة الإشكال لا حلٌّ له.

وإمَّا أن يكون كلامه فيه أجنبياً، ونلتزم معه بعدم تحقق بيعة منهم له، ولذا بيَّن صلوات اللّه عليه في بعض كلماته حقيقة بيعة بعضهم أعني أول من بايع

وهم - الزبير وطلحة - بل بيَّنها لهم مباشرة، وأخبرهم أنَّهم أول من ينقض تلك البيعة.

وأمَّا خروج منْ خرج عليه، فقد جرَّأهم على ذلك أمثال عمرو بن العاص، ومروان طريد رسول اللّه هو ووالده الحكم، ومعاوية بن أبي سفيان لمَّا أن امتنع عن تسليم الأمر لأمير المؤمنين عليه السلام.

وأنتم تعترفون في أمَّهات كتبكم بأنَّهم بغاةٌ على الإمام،والباغي على إمام زمانه كافر، هذا بحكمكم أنتم، كما صرَّح به علماؤكم[١] وغيره، وأبو موسى الأشعري والذي قَبِل أن يحكم على إمامه، بل سوَّل له شيطانه أن يتصور تمكنه من خلع الإمامة التي كانت ثابتةً لأمير المؤمنين عليه السلام فخلعها غافلاً أو عامداً متجرأً، فتمَّت الخدعة والمكيدة على خلع علي عليه السلام.

وما علموا أنَّها إمامة إلهيَّة لا يمكن خلعها من قبل أنفسهم، وما كان خواص علي إلا قلَّة قليلة، ولذا قال

---

١ لكنَّ ابن تيميَّة يأبى عن الحكم بكفر معاوية، فيقول: خرج على إمام زمانه فهو باغ، ولكنَّه مجتهد مخطئ فله أجر واحد، فالباغي ليس بكافر !! سبحان اللّه وهل المخطئ بالخروج على إمام زمانه كالمخطئ بفعل أمر صغير جزئي؟! فما لكم كيف تحكمون؟ وفي الواقع أنَّ هذا التبرير منه ليس لمعاوية فقط، بل لمن خرج يوم الجمل أيضاً، كي لا يحكم بكفرهم كذلك !!.

في أكثر من مقام: «ما تركـ لي الحقّ من صديق».

وقبل كلّ ذلك: إنَّ بيعة أمير المؤمنين عليه السلام كانت من الله عزَّ وجلَّ ومن رسوله صلى الله عليه وآله ولم تكن منعقدة من الناس، بل الجلُّ منهم إن لم يكن الكلّ قد بايعوه في الغدير حتى قام الخليفة الثاني مُسَلِّماً عليه بأمر النبي صلى الله عليه وآله وهو يقول له: (بخٍ بخٍ لك يا بن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة)[1].

فالعجب كيف صحَّت لهم بيعة مَن تقدم عليه مع اشتغال ذمتهم وصفق أيديهم ببيعتهم لعلي عليه السلام قبل ذلك، وها أنتم تروون: (إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الثاني منهما)[2] فحَقَّ القتلُ على كلّ من تقدّم على أمير المؤمنين عليه السلام بالبيعة لنفسه.

إلا أن تردُّوا هذه الرواية وأمثالها، وهذا ما لا نرتضيه لكم من ردّها أو استحقاق القتل لهم، كما لا ترتضونه أنتم.

---

١ شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني: ١ / ٢٠٠، تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٤٢، مسند أحمد: ٤ / ٢٨١، الرياض النضرة: ٢ / ١٦٩، سرُّ العالمين للغزالي: ص ٢١.

٢ صحيح مسلم: ٣ / ١٤٨٠ ج ١٨٥٣، المستدرك: ٢ / ١٦٩ ح ٢٦٦٦.

النقطة الرابعة: الطعن في الصحابة

لقد حرص المدّعون بأنَّهم أهل السنَّة على الالتزام بعدالة الصحابة جميعاً، ولم يُعلَم لهم وجه عقلي[1] أو

---

١ نعم قد ذكر هذا الكاتب وجهاً يصلح لأن يكون وجهاً عقليًّا، وإن كان مسبوقاً به من قبل شارح المواقف؛ وهو أنَّه يلزم من الطعن في الصحابة عدم الاحتجاج بالسنَّة لأنَّهم هم الذين يروونها. ولا يخفى على المتأمل أنَّ هذا الإشكال محض توهم فاسد، وذلك أنَّ هذا يتم فيما لو انحصر نقل الحديث والسنَّة من خصوص المطعون فيهم من الصحابة. وأمَّا مع عدم انحصاره فيهم فلا موجب ولا ملزم لما ذكروا من اللازم، فإنَّ من الصحابة الرواة للحديث والناقلين للسنة النبويّة الكثير الكثير ممّن لا طريق للطعن عليهم بوجه، وسيأتي منَّا ذكر بعضهم. ثمَّ إنَّ الفحص والبحث عن الصحابي المستقيم الطريقة وتمييزه عن الصحابي الذي بدَّل وعطَّل وحرَّف، هل يوجب ترك السنَّة أو عدم روايتها أو تعطيل الدين كما يدعيه هذا الكاتب؟ كيف؟ والعترة الهادية عِدْلُ الكتاب، وهم أهل البيت الذين نصَّ النبي صلى اللّه عليه وآله في مواطن عدَّة على أنَّهم بهم الهداية، وأنَّ اللازم لهم لاحقٌ والمقصِّر في حقهم زاهقٌ والمتقدم عليهم مارق، فهم قد رووا عن جدِّهم الرسول صلى اللّه عليه وآله كلّ ما يلزم

نقلي أو عقلائي يوجب ذلك، بل حتى الصحابة أنفسهم لم يكن عملهم كذلك[١].

إذ إنَّ كلّ ما ورد من آيات أو روايات هو لمدح بعض الصحابة، وعلى فعل خاص لا مطلقاً، هذا مع تسليم إرادة المدح منها، وإلا فالبعض منها إخبار عن واقعة خاصة وقعت والحكم المتعلق بها.

هل يوجد دليل عقلي على تعديل جميع الصحابة؟

وأهمّ دليل ذكره هذا الكاتب من العقل على ذلك: هو لزوم فتح باب الطعن على غير الصحابة من باب أولى، فما الفرق بين الصحابة وغيرهم ما لم تثبت لهم

الدين من أصول وفروع، ومعهم ثلَّة كبيرة من الصحابة الأبرار رووا ما فيه الكفاية عن رواية غيرهم من المنافقين والمتَّهمين والمعتدين؟ فلماذا لا يؤبه بروايات هؤلاء، ويخصّ الدين بما يرويه أولئك أمثال المغيرة بن شعبة ومروان ومعاوية وبسر بن أرطأة ومسلم بن عقبة و..و.

١ بل ورد العكس من ذلك عن النبي حيث إنَّ البخاري روى عن حذيفة: «..اثنا عشر رجلاً من أصحابي لا يدخلون الجنَّة حتى يدخل الجمل في سم الخياط» صحيح مسلم: ٤ / ٢١٤٣ كتاب صفات المنافقين، وفي رواية أخرى: في أصحابي اثنا عشر منافقاً ثمانية منهم لا يدخلون الجنَّة...» صحيح مسلم: ٨ / ١٢٢، السنن الكبرى للبيهقي: ٨ / ١٩٨، مسند أحمد: ٥ / ٣٩٠.

العصمة؟

ومَن هو هذا الغير الذي تقصده؟ وتخاف أن يَطَلِّع على الطعن عليه أعداء الإسلام؟

ثمَّ ما هو الدليل على المنع عن الطعن في مَن ثبت فيه ذلك، في ما لو كانت مصلحة الإسلام والحفاظ على السنَّة النبويَّة تقتضي الطعن والدفاع عن الحقّ؟

وإلا، فامنع علماءكم عن البحث في علم الرجال، وهو علم أو فنّ له موازينه الخاصة، ولكنَّ لبَّه وواقعه الجرح والتعديل.

وهل التجريح إلا أن تقول: فلان مطعون فيه، وفلان كذاب، وفلان مدلس[1] وفلان كان يشرب الخمر، و..و...

---

١ وقد كتب ابن حجر العسقلاني كتاباً أسماه «طبقات المدلسين» وجعل فيه مثل أبي هريرة من المدلسين الكبار، وكذا البخاري و..و. فما تقول في مثل ابن حجر: هل أنَّ كتاباته كلها أساطير ؟!! وكتب الحميدي كتابه «الضعفاء والمتروكين» وأُلِّفت الكتب في سرد الأحاديث الضعيفة كـ«الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» و«اللآليء المصنوعة» وغيرها. بل لو لم يكن عندنا إلا قول النبي صلى الله عليه وآله: «من كذب عليَّ متعمداً...» لكفى في التشكيك في مرويات بعض من ادعيت له الصحبة، ولم يكن قد حفظ صحبة النبي فيه، كما أنَّه ينبغي التنبيه على أنَّ ذلك لا ينافي حفظ مقام الصحبة لمن وفى بها وأدى حقها كما أراده الله منه ورسوله.

ولو كان هذا العلم مجرد تعديل فقط لم يصح تسميته علماً[١].

وعلى هذا فالصحابة كغيرهم من الناس الذين يمكن أن توضع أسماؤهم وأفعالهم على مائدة التشريح فيُرَى: هل كان ثقة متقياً مطيعاً للّه ولرسوله، أم لا؟

والصحبة - لو قلنا بنفعها - لما تعدّى ذلك شرف اللقاء بالرسول الأكرم، ولكنَّ الأمر من زاوية أخرى هو عليهم أشدّ، لأن من رأى النبي وسمع أوامره ونواهيه ولم يمتثلها كانت عقوبته أشدّ ممَّن لم يره ولم يسمع منه وإنما سمع من الرواة والأخبار ذلك، وهذا مقتضى اختلاف الرتبة بين الصحابي وغيره.

ويكفينا في إمكان تطرُّق الطعن لبعض من ادُّعيت له الصحبة ما ذكره البخاري في صحيحه من حديث الحوض: «يقدم عليَّ جماعةٌ من أصحابي يوم القيامة - وأنا على الحوض - فلمَّا قربوا مني حيل بيني وبينهم؛ فأقول: يا ربِّ أصيحابي أصيحابي؟ فيأتي النداء: إنَّك لا تدري ما أحدثوا بعدك»[٢].

---

١ ضرورة اشتمال العلم على جهتي الوجدان والفقدان، أو جهتي النفي والإثبات.

٢ صحيح البخاري: ٨ / ١٤٨ - ١٤٩، مسند أحمد: ٥ / ٣٨٨.

وفي نص آخر: «فيحلؤون دوني فأقول: يا ربِّ أصحابي؟ فيناديني مَلَكٌ: إنَّك لا تدري ما أحدثوا بعدك؟ لقد رجعوا القهقرى..»[١].

فهذا الكلام من لسان الرسول يوجب تحقق معرضيَّة الصحابة للطعن، خاصة من رجع منهم القهقرى بعد وفاته صلى اللّه عليه وآله.

وأعظمها هذه الرواية، وهي في ما بعد معركة أحد، فقد روى الإمام مالك (أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله قال لشهداء أحد: «هؤلاء أشهد عليهم»، فقال أبو بكر: ألسنا يا رسول اللّه إخوانهم؟ أسلمنا كما أسلموا وجاهدنا كما جاهدوا!؟

فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله: «بلى، ولكن لا أدري ما تُحدثون بعدي؟!!».

فبكى أبو بكر ثمَّ بكى، ثمَّ قال: أئِنَّا لكائنون بعدك؟)[٢].

وهاك بعض أسماء الصحابة الذين ثبت أنَّهم لم يحسنوا الصحبة بدلالة كلام الرسول في حقهم أو

---

١ صحيح البخاري: ٨ / ١٥٠ – ١٥١، الجمع بين الصحيحين: رقم ٢٦٧.

٢ الموطأ لمالك بن أنس: ١ / ٣٠٧ ومغازي الواقدي ص ٣١٠.

مخالفتهم الظاهرة لأوامره صلى الله عليه وآله ولو بعد وفاته صلى الله عليه وآله:

١ - الجد بن قيس الأنصاري، الذي قال النبي في حقّه: «كلكم مغفور له إلا صاحب الجمل الأحمر»[١].

٢ - الحرقوص بن زهير السعدي، ممَّن شهد بيعة الرضوان ثمَّ صار رأس الخوارج، وهو الذي قال للنبي صلى الله عليه وآله: «اعدلْ، يا محمّد»[٢].

٣ - محلم بن جثامة، قال فيه النبي صلى الله عليه وآله: «اللهم لا تغفر لمحلم بن جثامة».

لأنه قتل صحابياً متعمداً[٣] فهو الذي قتل عامر بن الأضبط، ولمَّا مات محلم لفظته الأرض ثلاثاً، فجُعِل على سفح جبل ورُجِم بالحجارة، فلما أُخبِر النبي صلى الله عليه وآله بذلك قال: «هي دعائي عليه».

٤ - عبد الله بن خطل، كان صحابياً ثمَّ ارتدّ، ولحق بمكَّة، وقتل يوم فتحها[٤] وهو ممَّن أمر النبيّ صلى الله

---

١ صحيح مسلم: ٨ / ١٢٣.

٢ فتح الباري: ٨ / ٦٩، الإصابة: ٢ / ٤٩ برقم ١٦٦٣، وقيل بأنَّه ذو الخويصرة.

٣ الطبقات: ٢ / ١٣٣، ٤ / ٢٨٢، الإصابة: ٥ / ٧٨٥.

٤ التمهيد لابن عبد البر: ٦ / ١٧٥ - ١٧٦، الأحاديث المختارة: ٣ / ٢٥٠.

عليه وآله بقتله.

٥ - المغيرة بن شعبة، وحاله أوضح من أن يوضّح.

٦ - سمرة بن جندب، أساء السيرة بعد النبيّ، وكان يبيع الخمر ويقتل الأبرياء، فهو الذي قتل ولدي عُبَيد اللّه بن العبّاس في اليمن، وهو الذي وضع بعض الأحاديث في ذمّ الإمام علي طلباً لرضا معاوية و..و.... .

٧ - عبد الرحمن بن عمر بن الخطاب، شرب الخمر أكثر من مرَّة فقتله أبوه حدَّاً وتعزيراً بعد أن حدَّه عمرو بن العاص في مصر[١].

والروايات في هذا مختلفة، فقيل بأنَّ كلا ولديه قد حدَّا، أحدهما حدّه للزنا والآخر حدَّه لشرب الخمر، أي عبد الرحمن المكنّى بأبي شحمة، وعبيد اللّه، وإن كانت بعض الروايات تفيد اتحادهما، وأنَّ الحدّ ليس إلا واحداً.

٨ - الوليد بن عقبة: الفاسق بنص آية النبأ: ﴿إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾.

وغيرهم من الصحابة الذين خانوا الصحبة وتنكّروا لها بعد النبيّ صلى اللّه عليه وآله أو في حياته.

---

١ السنن الكبرى للبيهقي: ٨ / ٣١٢، سيرة عمر بن الخطاب لابن الجوزي: ص ١٧٠ وفي ط: ص ٢٠٧، إرشاد الساري: ٩ / ٤٣٩، شرح النهج: ٣ / ١٢٣ ط مصر.

٩ - قدامة بن مظعون: وقد شرب الخمر في زمان عمر وجلده، فغاضبه ثمَّ كلمه واستغفر له[١] بل قال أبو أيّوب: (لم يحدَّ أحدٌ من أهل بدر في الخمر إلا قدامة ابن مظعون)[٢].

ولكنَّ العجب لا ينقضي من مثل الحاكم في المستدرك[٣] حيث جعل من مناقب قدامة هذا أن نصبه الخليفة عمر بن الخطاب والياً من قبَلِه على البحرين[٤] وقد نسي الحاكم أن يعدّ من مناقبه شربه للخمر فيها، فلم يذكره في ترجمته!!

١٠ - أبو محجن الثقفي: ممَّن شرب الخمر مراراً، بل لم يكن ينفكّ عن ذلك حتى نفاه عمر إلى جزيرة، وجعل عليه رجلاً حارساً ففرَّ منه، وخرج إلى سعد حيث كان زمن معركة القادسيَّة، وذكر ابن عبد البرّ أنَّه كان

---

١ الإصابة: ٥ / ٤٢٤ - ٤٢٥، الاستيعاب لابن عبد البر.: ٣ / ٢٤٨، السنن الكبرى: ٣ / ٢٥٣، ٨ / ٣١٥، المصنف لعبد الرزاق: ٩ / ٢٤١.

٢ الموضع السابق من الإصابة والاستيعاب والمصنف.

٣ المستدرك: ٣ / ٤٢٦.

٤ ولا يخفى أنَّ حكمة التنصيب هو أنَّه خال حفصة بنت الخليفة، وخال أخيها عبد الله بن عمر، كما أنَّه زوج أخت الخليفة، فلاحظ في نسبه المعجم الكبير للطبراني.

منهمكاً في الشراب لا يكاد يقلع عنه، ولا يردعه رادع ولا لوم لائم[١] وذكر عن قبيصة بن ذؤيب أنَّ عمراً جلده في الخمر: ثمان مرّات[٢] وفي رواية أخرى: أربع مرَّات[٣] وفي أخرى: سبع[٤].

تلك عشرة كاملة، وإن كان في زوايا الكتب والروايات الكثير منها.

مناقشة الآيات التي يدعي الخصم نزولها في الصحابة

وأمَّا الآيات التي ادّعى الكاتب أنَّها نزلت في فضلهم، فليدلنا عليها!!

Č: ŋǽǡ ŋǕǾǺ Ƹǩǂ ǉ ǯǂŇ

إذ ليس إلا آية بيعة الرضوان تحت الشجرة، وهذه - كما يقول العلماء -: قضية خارجيّة مختصة بجماعة

---

١ الاستيعاب: ٤ / ١٨٢، بل هو القائل شعراً:

إذا متُ فادفنّي إلى جنب كرمةٍ تروِّي عظامي بعد موتي عروقها

ولا تدفنني بالفلاة فإنَّني أخاف إذا ما متُّ أن لا أذوقها

معجم البلدان: ٢ / ٢٦٣.

٢ الاستيعاب: ٤ / ١٨٣، المصنف: ٧ / ٣٨١ باب حد الخمر، ٩ / ٢٤٧.

٣ فتح الباري: ١٢ / ٨١.

٤ المصنف لعبد الرزاق: ٩ / ٢٤٧.

خاصة، وهم خصوص مَن بايع تحت الشجرة، فلا تشمل غيرهم.

مع أنَّ آخرها يصرِّح بالتهديد لمن كفر بعد ذلك.

وفي آية أخرى يصرّح بسوء العاقبة لمن نكث بعد ذلك.

وفي ذلك كلّه إشعار بتوقّع النكث والكفر من بعضهم بعد ذلك.

بل التصريح بوقوعه متحققٌ بعد وفاة النبي صلى اللّه عليه وآله من قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَت مِن قَبْلِه الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُم على أَعْقَابِكُم وَمَنْ يَنْقَلِب على عَقِبَيْه فَلَنْ يَضُرَّ الله شَيْئاً﴾[1].

فإن منعت دلالة هذه الآيات والروايات على مدّعانا، فالمنع عن مدّعاك ممّا ذكرتَ من آيات وروايات أولى وأولى.

yÜÑkł ŋæđ :č

وكذا آية الوعد: ﴿وَعَدَ الله الذِّينَ آمَنُوا مِنْكُم وَعَمِلُوا الصالِحَاتِ لَيسْتَخْلِفَنَّهم في الأَرْض كَمَا

---

١ آل عمران: ١٤٤.

اسۡتَخۡلَفَ الَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُ الَّذِي ارۡتَضَى لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنًا يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡئًا وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الۡفَاسِقُونَ ﴾[١].

وهذه الآية ظاهرة في الوعد من الله للمؤمنين به حقاً بأن يجعلهم المستخلفين في الأرض وأن يعطيهم الأمان بشرط أن يتوجّهوا بالعبادة إلى الله وأن لا يشركوا به شيئاً، وإلاّ فمن يكفر به فهو في عداد الفاسقين المساوين للكفّار في العقاب، على ما يستفاد من آيات أخر، بل لا يبعد مساواة الفسق للكفر في نفسه كما يمكن استظهاره من بعض الآيات، وللعلماء وأهل التفسير في هذه الآية آراء متعدّدة:

ألف: فقد قال الفخر الرازي - تبعاً للزمخشري - في تفسيره[٢] بأنَّها دالّة على صحّة خلافة الخلفاء الأربعة فإنَّهم هم الذين آمنوا ولم يبدّلوا ولم يغيّروا. ووافقه البيضاوي، فقد تحقّق مصداقه المنحصر فيه، وقالوا: ما اجتمع الموعود والموعود به إلاّ لهم.

باء: وقال آخرون: هي دالَّة على الاستخلاف

---

١ النور: ٥٥.
٢ الكشاف: ٣ / ٢٥٢.

للمسلمين جميعاً بعد نصرهم على الكفار في الجزيرة، أو بعد فتح مكّة، فهي مساوقة ومرادفة لقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ..﴾[١]. ولقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي...﴾[٢].

جيم: وقالت طائفة ثالثة بأنَّ الموعودين بهذا هم الأئمة عليهم السلام وأن موعدهم معلوم عند اللّه مخفيّ علينا، وهو المرويّ عن أئمتنا عليهم السلام، والذي ذكره الشيخ الطبرسي في مجمع البيان.

وعلى هذه التفاسير المختلفة لا تتمّ دعواهم على إرادة الخلفاء الأربعة، أضف إلى ذلك عدم دعواهم النص على استخلافهم وخلافتهم، بل هم بين من ادّعى نصبه بالشورى[٣] وبين من نصب بالتعيين من سابقه[٤] وبين من جعلها شورى بين ستّة[٥] وأمر بحبسهم في دار إلى

---

١ المائدة: ٣.

٢ المائدة: ٣.

٣ كدعواه نصب الخليفة الأوّل.

٤ كتنصيب أبي بكر للخليفة الثاني حيث إنَّه قد نصَّ عليه، وقد سبق من أمير المؤمنين ذلك له فقال للثاني: «احلب حلباً لك شطره...فلشدَّما تشطرا ضرعيها..».

٥ كما صنع ذلك الخليفة الثاني في شوراه المشهورة.

ثلاثة أيام، جاعلاً الأمر بيد عبد الرحمن بن عوف.

ولمَّا عوتب الخليفة الثاني على ذلك قال: إن أستخلف فقد استخلف من هو خير منّي - يعني أبا بكر - وإن أترك فقد ترك من هو خير منّي - يعني رسول اللّه بدعواه أنَّه لم يستخلف ـ.

واعتقدوا أنَّ في ذلك فضيلة له من التوجّه للتخيير بين الأمرين.

ولكنَّ الحقّ المبين هو أنَّه بلا دليل ولا مرشد، وليست إلاّ السياسة المدبَّرة والمبيَّتة منه لمن يليه، وأيّة شورى تلك التي يحبس فيها المرشَّحون وهم المرشِّحُون أنفسهم؟ وهل فيهم خير أن لو انتخبوا مَن لم يرتضه عبد الرحمن أن يضرب عنق الممتنع؟ وبأيّ وجه شرعيّ يقتل؟ فهو إمّا خليفة للمسلمين، وإمَّا مقتول، وإمَّا موافق للآخر، ولو كان ذا باطل؟

وأمَّا بقيَّة الآيات: ففيها أمرٌ لهم باتباع النبي صلى اللّه عليه وآله واستماع أوامره وعدم التقدّم عليه، وإعزازه والرجوع له في الحكم في ما لو شجر بينهم نزاع أو خصومة، وأمثال هذه الموارد.

وليس فيها من مدح لهم تلميحاً فضلاً عن التصريح به.

ŋǿũǯǩƚ ŋǽǡ :Ď

ولعلَّ أعمَّ ما يتصور دلالته على دعوى تلك المنزلة لهم هي من قبَل قوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ معَه...﴾[1] فتستفيد ذلك من المعيَّة الموجودة فيها، فنسأل: أيّة معيَّة هي المقصودة في الآية؟ لا شكَّ أنَّ المعيَّة البدنيَّة ليست ذات أثر حتى تقصد، فكم من رجل بدنه معك وقلبه عليك.

إذن فالمقصود منها المعيَّة القلبيَّة والعقليَّة، ولذا لم يكتف القرآن بهذا المعنى من المعيَّة بل صرَّح بما ذكرنا في آخر الآية فقال: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصالِحَاتِ منْهم مغْفِرَةً وَأَجراً عظِيماً﴾[2].

ولا يخفى الوجه في ذكر كلمة منهم فإنَّه علاوة على عدم إرادة المعيَّة الجسديَّة - وهي عمدة أدلتكم في تحقيق الصحبة بالرؤية البصريَّة - قد نص على خصوص المؤمنين منهم والذين يعملون الصالحات منهم، لا مطلق من كان معه، وهل يحتاج عاقل لأكثر من هذا البيان لفهم التخصيص منها!!؟

---

١ الفتح: ٢٩.

٢ الفتح: ٢٩.

مناقشة الروايات التي يدعي الخصم صدورها بحق الصحابة

وأمَّا الروايات التي يدّعي صدورها في مدحهم؛ فلا تزيد على عدد الأصابع - هذا إذا صحَّ صدورها - حيث قد ناقش في سندها الكثير من أعلامكم[1].

---

١ فارجع لكتاب: الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة للشوكاني في مناقشته للأحاديث التي رويت في مدحهم، وكذا لكتاب إحقاق الحق للسيد المرعشي، ولكتاب اللآلئ المصنوعة للسيوطي، وأمَّا حديث العشرة المبشرة بالجنَّة فهو مما نقطع بأنَّه موضوع على لسان النبي للمناقشة في سنده ومتنه، ولمخالفته لضرورة العقل والنقل، إذ كيف يسوغ من الحكيم أن يعطي الأمان لهم مع علمه بأنَّ منهم من لم يدخل الإيمان قلبه قط؟ ومنهم من سيرتكب ما يخالف أوامره عزَّ وجلَّ في مستقبل عمره؟ بل منهم من ارتكب الذنب غير المغفور عندهم وهو الاشتراك في قتل خليفة المسلمين: عثمان؟ بل إنَّ ما بينهم من الحرب والكلمات يكشف كشفاً قطعياً عن وضع هذا الحديث! ولنا في هذا الحديث بحث مستقل نسأل الله التوفيق لطباعته. وأمَّا حديث:«أصحابي كالنجوم..» فقد طعن فيه شيخهم ومن إليه يرجعون وهو ابن تيميَّة فقد ذكر الشيخ محمود أبو رية أنَّه بعد طبع كتابه أضواء على السنَّة المحمديَّة لقيه محب الدين الخطيب فلامه على ما كتب، وقد كان بمرأى من حديث:«أصحابي كالنجوم» فأجابه الشيخ بأنَّ هذا الحديث ضعيف، وقد ضعَّفه علماؤكم، فقال: مَنْ؟ قال: أنت ؛ في تعليقك على كتاب المنتقي للذهبي! فاشتدّ غضبه،

هل تدل الفتوحات الإسلامية على عدالة الفاتحين؟

وبعد كلِّ هذا، فمن الواضح أن الفتوحات المنتسبة إليهم يحتاج الأمر فيها إلى إثبات عدالتهم قبلها وبعدها، إذ ليس من شرائط الفاتح لبلدٍ أن يكون عدلاً متقيًّاً، إذ قد روي: أنَّ اللّه ينصر هذا الدين ولو بالرجل الفاسق أو الكافر؟!

هل يلزم من الطعن في عدالة بعض الصحابة الطعن في القران والسنة؟

وما ذكره من سلسلة اللوازم على الطعن في الصحابة؛ من لزوم الجرأة على القرآن والطعن فيه أو لزوم الطعن في السنَّة لأنَّ ذلك طعن في حَمَلَتِها، وتشويه أمجاد الإسلام وحضارته.

فكلّ تلك لوازم فاسدة، بل هي غير لازمة للكشف عن فساد بعضهم، أو كذب دعواه الصحبة له، أو دعواهم الصحبة له صلى اللّه عليه وآله قط.

وقال: في أي صفحة من كتابي؟ قال: ص ٥٥١، وفيها: يقول ابن تيميَّة: «وحديث أصحابي كالنجوم ضعَّفه أئمة الحديث فلا حجَّة فيه» فبهت الخطيب. عن كتاب المنتقي من آراء علماء المسلمين ص ٤٢ للسيّد مرتضى الرضوي.

فإنَّ صدور طعن في بعض الصحابة ليس مانعاً عن الرواية عن الصحابة الأخرى، الذين لم يرد فيهم طعن، والفرض عدم توقف الوثوق بالسنَّة أو وصول القرآن وتواتره على أولئك الأشخاص المطعون فيهم.

والخلاصة: أنَّ الذي يبدو لنا أنَّ هذا الكاتب ليس له غرض أساسي في توثيق وتعديل كل الصحابة، ولكنَّه لمَّا لم يجد طريقاً أو وجهاً يستطيع به توثيق الشيخين وبعض من تابعهم ومالأهم، اضطرَّ للقول بعدالة كل الصحابة، فوقع في مشكلة أكبر منها.

فارجع أخي القارئ إلى رشدك وابحث عن الحقيقة، فاليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل، وستسأل في قبرك ويوم القيامة عن معتقداتك، بل ستسأل حتى عن الأشخاص الماضين والمعاصرين لك، إذا كان توليهم ديناً يدان به، فهيئ جواباً يصنع لك طريقاً من قبرك للجنَّة، فإنَّك ستكون وحدك في قبرك، ولن ينفعك فلان وفلان حباً ولا دفاعاً، بل النافع لك هو اتباعك للحق، والحقُّ بتصريح النبيّ صلى اللّه عليه وآله عند عليّ: «عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ»[1].

---

١ مجمع الزوائد: ٧ / ٢٣٦ وقال: إنَّ رجاله رجال الصحيح إلا سعد ابن شعيب، وهو اشتباه من النساخ فهو سعيد بن شعيب

فانظر لحالك إن لم تكن معه، فمن الآن فسارع والتحق بركب عليّ عليه السلام قبل أن يعاجلك الفناء، وليس بعد ذلك إلا الحساب، وحينئذٍ لسان حال المتخلف عن ركب علي: ﴿ رَبِّ ارجِعُونِ لَعلى أعْمَلُ صالِحاً ﴾[1].

شيخ صالح صدوق راجع في ترجمته تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني: ٤ / ٤٨، سنن الترمذي: ٣ / ١٦٦، جامع الأصول: ٩ / ٤٢٠، المستدرك: ٣ / ١٣٤، والكثير من المصادر الأخرى.

١ المؤمنون: ١٠٠.

النقطة الخامسة: غزوات النبي صلى الله عليه وآله

لقد استند في الأدلة التي عرضها من آيات وروايات إلى ما ورد من مدح للصحابة في ما بذلوه في الغزوات مع النبي صلى اللّه عليه وآله من نفس ونفيس من مال وأولاد وعتاد، وهذا المدح من القرآن لهم قد خلَّدهم، وسدَّ طرق الطعن عليهم أو تخوينِهم في أدب التلمذة والتعلّم من النبي صلى اللّه عليه وآله.

ولنأخذ جولة سريعة حول تلك الآيات التي ادُّعي توافرها على هذا المعنى.

فهنا مواقف:

الموقف الأوّل: ما يتعلّق بمعركة بدر

ففي مرحلة التهيؤ لها كان المسلمون من جهة قد أخذتهم هيبة قريش وقوتها، وكثرة عدَّتِها وعتادها، ومن جهة أخرى: لابدَّ لهم من إثبات صحَّة موقفهم وتمسكهم بالدين الجديد.

فمن غلب عليه الجانب الأول ظهرت منه علائم النفاق والضعف والتخاذل.

وأمَّا من غلب عليه الجانب الثاني فقد أظهر البسالة والثبات.

فمثل المقداد الذي قال للنبي صلى اللّه عليه وآله: (إنَّا لا نقول لك كما قال قوم موسى لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون، ولكن نقول لك: تقدما وقاتلا ونحن معكم)[١].

فاقرأ ما نزل من آيات في معركة بدر الكبرى؛ فقد كان جلُّ سورة الأنفال في معركة بدر، وتأمل في مضمون ما سنتلو عليك من آيات عبر مقاطع:

المقطع الأوّل منها: قال تعالى: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ * يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ * وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ *

---

١ تفسير الكشاف: ٢ / ١٩٨.

لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴾[١].

ففي هذه الآيات صراحة ما بعدها صراحة في أنَّ قسماً من الصحابة كان كارهاً للدخول في حرب مع قريش، ومن المُبرِّرات ما ذكرناه سابقاً، ومنها ما هو معروف من أنَّهم لا رغبة لهم في محاربة قومهم وإن كانوا كفاراً، ولذا عبَّرت الآية بقوله يُجَادِلُونَكَ، والمجادلة وقعت حول الحق، وهل الصحابة المتبعون للنبي في كل أمورهم يجادلون في الحق، أيها الكاتب المحترم؟؟

ومَنْ هم الكارهون: هل هم فريق من الكفار أم فريق من المؤمنين؟؟

ويناسب هنا أن نذكر ما يؤيد كراهة البعض الخروج للقتال، فقد أخرج مسلم والحاكم وابن كثير والبيهقي حين أخبرهم الرسول بقدوم قافلة أبي سفيان (فتكلَّم أبو بكر فأعرض صلى اللّه عليه وآله عنه، وتكلم عمر فأعرض صلى اللّه عليه وآله عنه، ثمَّ قام سعد بن معاذ فتكلم، فسُرَّ صلى اللّه عليه وآله بقول سعد ونشَّطه)[٢]

---

١ : الأنفال ٥ – ٨

٢ صحيح مسلم: ٣ / ١٤٠٣ – ١٤٠٤ برقم ١٧٧٩، المستدرك: ٣ / ٢٨٣ برقم ٥١٠٤، السيرة النبويَّة لابن كثير: ٢ / ٣٩١ – ٣٩٥، دلائل النبوة للبيهقي: ٣ / ١٠٦.

ولكنَّ مثل صاحب تفسير الكشاف[١] ممَّن خان الأمانة فقال: (فتكلم أبو بكر فأحسن وتكلم عمر فأحسن...) ومحا بتزويره إعراض النبي عنهما[٢].

وأمّا الخليفة الثالث فلمّا ساءت علاقته مع المصاهر له والمُنَصب له خليفةً في شورى الستَّة عبد الرحمن بن عوف، لقيه الوليد فسأله عن عدم حضوره مجلس الخليفة، فأجابه: أن أبلغ عني الخليفة أنِّي لم أغب عن بدر، ولم أفرَّ يوم عينين (أحد)[٣].

وفيه تعريض بغيابه عن بدر، والذي عبَّر عنه البعض بالفرار، وذلك لخروج كل المسلمين فيها أو

---

١ تفسير الكشاف: ٢ / ١٩٨.

٢ وقيل إنَّ ما قالاه فيه نظر لعزَّة قريش وأنَّها ما ذلت مذ عزَّت.. ونظير هذا الكلام الذي أوجب من النبي الإعراض عنهما، فلاحظ مغازي الواقدي: ١ / ٤٨، ولكنَّ حبَّ الشيء يعمي ويصم !!

٣ تاريخ المدينة ؛ ابن شبة ٣ / ١٠٣٣، مسند البزار: ٢ / ٥٢، وفيه تبرير من عثمان لمَّا وصله كلامه بأن قال: أمَّا إنَّما لم أحضر بدراً لمكان ابنة رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وأمَّا الفرار من معركة أحد فقد عفا اللّه ورسوله عمن فرَّ من المعركة» واللطيف في الأمر أنَّ الخليفة عثمان قد فرَّ عن محل المعركة حتى وصل إلى ينبع، فاحسب المسافة بين جبل أحد في المدينة ومدينة ينبع، وعليك استنتاج مقدار شجاعة الخليفة وبسالته !! حتى قال له النبي لمَّا رجع: لقد ذهبت بها عريضة.

أغلبهم، إذ كانت هي المعركة الفاصلة، وتعريض بفراره في معركة أحد كما سيأتي.

هذا كله مع سبق وعد اللّه لهم إمَّا اغتنام القافلة التي خرجوا لها - عِيْر قريش - وإمَّا النصر، ومع كل هذا لم تكن لهم رغبة في ذلك.

فإن لم يكن ما صدر منهم حاكياً لامتناعٍ؛ فلا أقل من الشك في وعد اللّه لهم، فماذا تقول أيها الشيخ الجليل؟

ولِمَ غضضت النظر عن مثل هذه الآية ولم تذكرها؟؟

المقطع الثاني: قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ قُلِ الأَنْفَالُ للهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[1].

وفي هذه المقاطع من الآيات يبين القرآن حكم الأنفال، ولكنَّ الذي يظهر من آخر الآية أنَّهم قد اختلفوا فيها وتخاصموا - كما تشير له بعض الروايات - ولذا قال في آخرها ﴿فَاتَّقُوا اللهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾، والأمر بالتقوى ليس إلا لإمكان فعل مخالف للتقوى ومنافٍ

---

١ الأنفال: ١

لها، وكذا أمرهم بإصلاح ذات البين ليس إلا لوقوع ما يوجب النزاع والتخاصم، ثمَّ التعقيب على ذلك بوجوب إطاعة اللّه ورسوله وأنَّ إيمانهم مشروط بالالتزام بتلك الإطاعة.

ومن الشواهد على وقوع التخاصم بينهم ما رواه أبو أمامة قال: سألت عبادة ابن الصامت عن الأنفال؟ فقال: (فينا أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا في النفل، فساءت فيه أخلاقنا فانتزعه اللّه من أيدينا وجعله لرسوله، فقسَّمه رسول اللّه بين المسلمين)[1].

بل في بعضها ممَّا مرَّ من المصادر السابقة: أنَّ النبي أمر أحدهم بوضع السيف الذي غنمه في موضع ما يأخذه المسلمون فقال: وضعته ورجعت وفي نفسي شيءٌ لا يعلمه إلا اللّه!!

فيا ترى ما هو الذي في نفسه؟ أيها الكاتب!!؟

وفي رواية أخرى له: قال (الذين جمعوا الغنائم: نحن حويناها وجمعناها، فليس لأحد فيها نصيب، وقال الذين خرجوا في طلب العدو: لستم أحقّ بها منَّا....

---

١ مسند أحمد: ٥ / ٣٢٢، السيرة النبويَّة: ٣ / ٢١٩، مجمع الزوائد: ٧ / ٢٦، تفسير ابن كثير: ٢ / ٢٨٤، وتوجد نصوص أخرى مقاربة لها في الألفاظ.

وقال الذين أحدقوا برسول اللّه: لستم بأحقّ بها منَّا؛ نحن أحدقنا برسول اللّه...)[١].

المقطع الثالث: قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنبِيٍّ أن يَكُونَ لَه أَسْرَى حتى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنيَا واللَّه يُرِيدُ الآخِرَةَ واللَّه عَزِيزٌ حَكِيمٌ * لَوْلاَ كِتَابٌ من الله سَبَقَ لَمَسَّكُم فِيمَا أَخَذْتُم عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[٢].

ومن الواضح أنَّ مفاد الآية اختلاف المسلمين في الأسرى، فبعض يقول: اقتلوهم، وبعض يقول: ائتسروهم، فبيَّن اللّه عزَّ وجلَّ أنَّ الأسر إنَّما يكون بعد الإثخان في الأرض لا قبله، ولذا بيَّن في آية أخرى من سورة محمد أنّ حكمهم ضرب رقابهم أو الفداء[٣].

وبهذا رفع اللّه اختلاف المسلمين حولهم، ثمَّ بيَّن أنَّ الأسر موافق لعرض الدنيا لا للآخرة، وأنَّ سبق أمر اللّه أوجب عدم استحقاقهم للعذاب العظيم فيما لو أقدموا على ما أرادوا.

---

١ الدر المنثور: ٤ / ١٠٥، وأخرى مثلها: ٤ / ١٠٨.

٢ : الأنفال ٦٧ – ٦٨.

٣ وقد أمر الرسول صلى اللّٰه عليه وآله علياً بأن يقتل اثنين وهما عقبة ابن أبي معيط والنضر بن الحارث، وأخذ الفداء من ثمانية وستين رجلاً – تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٤٦.

فكيف كانوا كذلك؟ وكيف صدر منهم ذلك؟ ألم يكونوا يرجعون في كل أمورهم للرسول؟ وهل المتبعون لخطى النبي صلى الله عليه وآله والذين لا يحيدون عنه قيد أنملة يختلفون كهذا الاختلاف؟

وفي هذا المقطع أكبر دلالة على أن الرضا والعفو الذي ادعاه الكاتب لكل أهل بدر ليس في محله، إذ إن بعضهم أهل عرض الدنيا وآخرين من أهل الآخرة، كما أنَّ بعضهم راغب في الغنائم لا في عزَّة الإسلام، وبعضهم ليس إلا لأخذ الثأر والانتقام.

فكيف يُدَّعى شمول العفو والرضوان لهم كلهم؟

وكيف يُدّعى أنَّ لهم الحق في أن يذنبوا ما شاؤا ويرتكبوا من المعاصي ما أرادوا حتى في مستقبل أيامهم!!؟

والحق أنَّ التأمل في آخر الآية يقضي بأن يكون عفو الله عنهم لكتاب سبق منه في ذلك، لمصلحة غيبيَّة لا نعلمها، وقد خفيت علينا، والشاهد على هذا ظهور أمارات استحقاق العذاب العظيم.

الموقف الثاني: ما يتعلّق بمعركة أحد

لقد أنزل الله في ما يتعلق بمعركة أُحُد ما يقارب

ستين آية من سورة آل عمران - كما ذكر الكاتب - ولكنَّه لم يذكر من تلك الستين إلا ثلاث آيات أو أربع، وكأنَّها ليس فيها أمر ذو أهميَّة للكاتب أو ممَّا يمس الصحابة فأهمل ذكرها؟ ولعل فيها ما لا يوافق غرضه من الكتاب؟

أو أنَّ فيها ما يوجب نقض غرضه، خاصة مع ضمِّ الروايات المتعلقة بمعركة أحد؟

فَلِمَ - يا أخي الكاتب - تحاول إخفاء الحقائق التاريخيَّة المتعلقة بالموضوع؟!

وهب أنَّ هذا تمَّ لك وقبلناه؛ ولكن ما الموجب لإخفاء بعض الروايات المتوافرة في الصحاح والأسانيد، والمُفَسِّرة لبعض الآيات النازلة حول المعركة؟

ولو قبلنا أنَّ كتب المؤرخين والسيَر كانت كلها أساطير بنظرك - وإن كان نظراً قاصراً وغير ذي بعد علمي - فهل أنَّ صحيحي البخاري ومسلم أساطير؟؟

وهل أن كل كتب الحديث الأخرى أساطير أيضاً؟

وهل يسوغ في البحث العلمي أن يرمي الباحث كل مادَّة علميَّة لا توافق رغباته وآراءه بأنَّها أساطير وترهات وخرافات؟؟

فإلى متى إخفاء ما لا يمكن إخفاؤه يا أيها المدَّعون

الإتباع للسنَّة؟؟

المقطع الأوّل: مقدّمات المعركة: لمَّا أن انهزمت قريش في معركة بدر اتَّعدت[١] لطلب الثأر؛ فجمعت عدَّتها وعَتَادِها وتهيَّأت للثأر، فكتب العباس للنبي صلى اللّه عليه وآله بذلك، فكان رأي النبي صلى اللّه عليه وآله أن لا يخرج من المدينة لرؤيا رآها، ولكنَّ الأنصار أشارت عليه بالخروج، ولمَّا همَّ صلى اللّه عليه وآله بذلك ولبس لاَمة[٢] حربه ردَّت إليه الأنصار الأمر، وقالوا: لا تخرج؛ فقال: الآن وقد لَبِستُ لاَمة حربي ولا ينبغي لنبي إذا لبسها أن ينزعها حتى يقاتل ويفتح عليه[٣].

وعلى هذا الأساس خرج الرسول صلى اللّه عليه وآله في أَلْفٍ من أصحابه، ولمّا وصلوا منطقة خارج المدينة انخذل عنه عبد اللّه بن أبي بن سلول في ثلث القوم، ولمَّا وصل النبي صلى اللّه عليه وآله جبل أُحُد تحصن في سبعمائة من رجاله، وجعل خمسين رجلاً على الجبل وأمرهم بالثبات سواء انتصرنا أم هزِمْنَا.

---

١ أي أعطت وعداً على نفسها وعهداً منها، وأوعدت المسلمين بالعودة لقتالهم، ثأراً لما أصابهم من معركة بدر.

٢ اللامة واللَّأْمَة: أداة الحرب من درع ومغفر وسيف و..و.

٣ تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٤٧.

ولكنهم لمَّا رأوا المسلمين قد انتصروا ودخلوا على المشركين يغنمون من أموالهم نزلوا عن الجبل خلافاً لأمر النبي، وبقي اثنان أو ما ينيف، فلما رأى المشركون ذلك كرُّوا على المسلمين من فوق الجبل فجرى ما جرى على المسلمين من ويلات، فضُرِب النبي وشجَّ رأسه وكسرت رباعيته وأغمي عليه، وقد فرَّ المسلمون لذلك...[1].

المقطع الثاني: قوله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسل أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُم على أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ على عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ ﴾[2].

كان المسلمون قد بايعوا النبي صلى اللّه عليه وآله على أن ينصروه ولا يخذلوه في موقف من المواقف، وقد سبق منَّا بيان خذلان بعضهم له بالكلام قبل معركة بدر.

وأمَّا في معركة أحد ففيها ظهرت خفايا نفوس لم تكن لتظهر لولا امتحان اللّه لهم بهذه المعركة، فاعلم أنَّه لمَّا رمى ابن قمئة الحارثي رسولَ اللّه بحجر فكسر

---

١ صحيح البخاري: ٤ / ١٤٨٦ حديث ٣٨١٧، أنساب الأشراف؛للبلاذري: ١ / ٣١٨ وغيرها من المصادر.

٢ آل عمران: ١٤٤.

رباعيَّته وشجَّ وجهه تقدَّم ليقتله، فذب عنه مصعب بن عمير حتى قتله ابن قمئة هذا، فظنَّ أنَّه قتل النبي فنادى - وقيل: إنَّ المنادي هو الشيطان - أن: «قُتِلَ محمدٌ» ففشا في الناس خبر قتله فانكفأوا فناداهم رسول اللّه: إلى يا عباد اللّه.. فرجعت له فئة فَلاَمَهم على هربهم[١] فقالوا: يا رسول اللّه أتانا خبر قتلك فرعبت قلوبنا فولَّيْنا مدبِرين.

وقد روي أنه لما صرخ الصارخ قال بعض المسلمين: ليت عبد اللّه بن أبي يأخذ لنا أماناً من أبي سفيان[٢]، ولم يَرُق لهذا المُفَسِّر أن يذكر من هم أولئك البعض، ولكن في بعض كتب السير أنَّهم كانوا جماعة من كبار الصحابة.

وقد نقل السيوطي في تفسيره للآية فقال: ذلك يوم أُحُد حين أصابهم ما أصابهم من القتل والجرح، وتداعوا نبيَّ اللّه؟ قالوا: (قد قُتل)، وقال جماعة منهم: لو كان نبيَّاً ما قُتل، وقال أناس من عليَةِ أصحاب النبي

---

١ وفي تفسير الطبري ٤ / ١٢١ أشار لما فيه تأنيب اللّه عباده الذين فَرُّوا عن العدو يوم أحد وتركوا قتالهم.

٢ تفسير الكشاف: ١ / ٤٢٢ – ٤٢٣، تاريخ الطبري: ٢ / ١٧٩، مغازي الواقدي: ١ / ٢٨٠، تفسير ابن كثير: ١ / ٦٤٩، والسيرة النبوية له: ٣ / ٦٨.

صلى الله عليه وآله: قاتلوا على ما قاتل عليه نبيُّكم حتى يفتح الله عليكم أو تلحقوا به.

وذكر لنا أنَّ رجلاً من المهاجرين مرَّ على رجل من الأنصار يتخبط في دمه، فقال له: أشعرت أنَّ محمداً قد قُتِل؟ فقال الأنصاري: إن كان محمَّدٌ قد قُتِل فقد بلَّغ، فقاتلوا عن دينكم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ﴾... يقول: ارتددتم بعد إيمانكم[1].

المقطع الثالث: قال تعالى: ﴿وَلَقَد صدَقَكُم اللّه وَعْدَه إذْ تَحُسُّونَهم بإذْنِه حتى إذَا فَشِلْتُم وَتنَازَعْتُم في الأَمْرِ وَعَصيْتُم مِن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَا تُحِبُّونَ مِنْكُم مَنْ يُرِيدُ الدُّنيَا وَمِنكُم مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صرَفَكُم عَنْهم لِيَبْتَلِيكُم وَلَقَد عَفَا عَنْكُم وَاللَّه ذُو فَضْلٍ على المُؤمِنِينَ * إذْ تُصعِدُونَ وَلاَ تَلْوُونَ على أَحَدٍ وَالرَّسولُ يَدْعُوكُم فِي أُخْرَاكُم فَأَثَابَكُم غَمّاً بِغَمٍّ لِكَيْلا تَحْزَنُوا على مَا فَاتَكُم وَلاَ مَا أَصابَكُم وَاللّه خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[2].

فقد بيَّنت الآيات ظهور المسلمين على المشركين،

---

١ الدر المنثور: ٢ / ٣٣٥.

٢ آل عمران: ١٥٢ - ١٥٣.

وكاد النصر أن يكمل ولكنَّ رؤية المسلمين للغنائم أعجلهم بترك أماكنهم، فتنازعوا الترك وعدمه[١]، وكانت كلمة الفصل بنزولهم عن الجبل الذي كان يكوِّن ظهراً للنبي يحميه عن الأعداء، فما إن ارتفعت الحماية عن النبي صلى الله عليه وآله بعصيان المسلمين لأوامر النبيِّ حيث رأوا ما يُحبِّون من الغنائم، حتى أجهز الكفار عليهم بأن تحوَّطوهم من أعلى الجبل بقيادة خالد بن الوليد، ولكنَّ الله عزَّ وجلَّ قد عفا عن أولئك العصاة وتفضل عليهم بالمغفرة[٢].

ثمَّ بيَّنت موجب العفو عنهم، وهو الذنب الذي ارتكبوه في المعركة ولمَّا تنته بعدُ، ألا وهو فرارهم من

---

١ قالوا: والله لنأتين الناس فنصيبَنَّ من الغنائم، فعصوا وانطلقوا ولم يبق منهم إلا عبد الله ومعه دون العشرة، صحيح البخاري: ٤ / ١٤٨٦ حديث ٣٨١٧.

٢ ومما يؤسف له أنَّ هذا الكاتب لا يقتصر تقطيعه للنصوص والشواهد على كتب التاريخ والسيرة، بل تعدى حتى بالنسبة للقرآن، فنجده هنا يستقطع من الآية أولها وآخرها، ويكتفي منها بقوله ولقد عفا عنكم، ولكن لا يغيب عن الأخ القارئ أنَّ العفو من الأمور ذات التعلق، فلو سأله شخص: عن أي شيءٍ عفا الله عنهم، فإنَّ العفو فرع تحقق المعفو عنه، ولابدَّ أن يكون ذلك عن ذنب صدر منهم؟ كل هذه الاستفسارات حاول الكاتب إخفاءها عن القارئ.

الزحف وهو المعبَّر عنه بقوله: ﴿تُصعِدُون وَلاَ تَلْوُونَ على أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُم فِي أُخْرَاكُم﴾.

ولعلَّك لا تصدِّق بصدور هذا الذنب منهم، والعلَّة هي كونهم صحابة[1]، فهاك بعض الشواهد على ما ذكرنا من الذنب[2] والمعصية:

١ - قال محمد بن مسلمة: «سمعتْ أذناي وأبصرتْ عيناي رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله يقول يومئذٍ وقد انكشف الناس إلى الجبل وهم يلوون عليه وإنه ليقول: إلي يا فلان، إلي يا فلان، أنا رسول اللّه! فما شرح منهما واحد عليه ومضيا»[3].

وفي هذا أكبر شاهد على تحقق الفرار من بعض الصحابة، والفرار من الزحف يعدُّ من الكبائر، بل من أكبر الكبائر.

---

١ والعجب لا ينقضي منهم ! إذ كيف يحاولون إثبات صدق صحبتهم من مثل هذه الآية بتصريحها بالعفو عنهم، ويثبتون من جهة أخرى أنَّهم مفعوٌّ عنهم لكونهم من الصحابة، ألا يلزم الدور الباطل من هذا الاستدلال؟؟

٢ فقد كان الصحابة أنفسهم يعدونه - على بساطتهم - ذنباً ويعترفون به، فما الداعي لك أيها الكاتب لأن تنفي عنهم ما يثبتونه لأنفسهم؟.

٣ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي: ١٥ / ٢٣ - ٢٤ عن مغازي الواقدي.

٢ - فقد روت عائشة عن أبيها: (كان أبو بكر - إذا ذكر يوم أحد - بكى ثمَّ قال: ذاك يوم طلحة... ثمَّ أنشأ يحدث قال: كنتُ أول من فاء[١] يوم أحد... فرأيت رجلاً يقاتل مع رسول الله فقلت: كنْ طلحة التيمي؛ حيث فاتني ما فاتني، يكون رجلاً من قومي...)[٢]، ولا يخفى أنَّه مع اعترافه بالفرار يتمنى أن يكون المنافح عن رسول الله هو طلحة بن عبيد الله التيمي لأنه من قومه، ولكنَّ أمنيته لم تتحقق فقد كان طلحة من الفارِّين أيضاً، فاستمع لهذا الخبر لتعرف ذلك.

٣ – (لمّا دوَّن عمر الدواوين جاء طلحة بنفر من تيم

---

١ فاء: رجع.

٢ الطبقات لابن سعد: ٣ / ١٥٥، السيرة النبوية لابن كثير: ٣ / ٥٨، كنز العمال: ١٠ / ٢٦٨، البداية والنهاية لابن كثير: ٤ / ٢٩ – ٣٢، تاريخ الإسلام للذهبي: ص ١٩١، المستدرك للحاكم: ٣ / ٢٧، تاريخ الخميس: ١ / ٤٣١، وغيرها من المصادر، والمناسب ذكره أنَّهم يروون: «أنَّ أبابكر أشجع الناس لأنَّه ثبت مع النبي مدافعاً عنه يوم بدر، في عريش النبي» مجمع الزوائد ٩ / ٤٦١، وقد ينسبون الرواية إلى علي عليه السلام حتى تكون أقرب للقبول، ولكن للأسف فالرواية قد رواها بلا إسناد، وقال عنها الهيثمي: فيها من لم أعرفه، بل يكذبها صحيحة ابن إسحاق من أنَّ سعد بن معاذ هو الذي كان يحرسه يوم بدر ؛ عيون الأثر لابن سيد الناس ١ / ٢٥٨، فتأمل !!

يستقرض لهم، وجاء أنصاري بغلام مصفَّر سقيم، فسأل عنه عمر فأخبِر أنه البراء بن أنس بن النضر؛ ففرض له أربعة آلاف، وفرض لأصحاب طلحة ستمائة، فاعترض طلحة، فأجابه عمر: إني رأيت أبا هذا جاء يوم أُحُد وأنا وأبو بكر قد تحدثنا: أنَّ رسول الله قد قُتِل؛ فقال: يا أبا بكر ويا عمر: مالي أراكما جالسين؟ إن كان رسول الله قُتل فإنَّ الله حيّ لا يموت)[١].

وقال أنس بن مالك: (إنَّه لمَّا انتهى إلى عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد في رجال من المهاجرين والأنصار قد ألقوا بأيديهم، فقال: ما يجلسكم؟ قالوا: قتِل محمد رسول الله[٢].

٤ - كان عثمان ممَّن فرَّ وجاء بعد ثلاثة أيام من الواقعة فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: «لقد ذَهبْتَ بها عريضة»[٣].

---

١ تاريخ الطبري: ٢ / ١٩٩، لباب الآداب: ص ١٧٩.

٢ الكامل في التاريخ لعز الدين ابن الأثير: ٢ / ١٥٦، دلائل النبوة: ٣ / ٢٤٥، وقد نصَّ في مجمع الزوائد على أنَّ من الفارِّين أبا بكر وعمر فراجع: ٩ / ١٢٤ وذلك بإخراج الطبراني والبزار، كما أنَّ رجال الثاني هم رجال الصحيح إلا محمد بن عبد الرحمن ومحله الصدق.

٣ الكامل في التاريخ: ٤ / ٢٨، تاريخ الطبري: ٢ / ٦٩، السيرة

أقول: وليس يضر ذلك عندهم ما دام أن اللّه عزَّ وجلَّ قد عفا عنهم وغفر لهم تلك الخطيئة، وهذا ليس مطلبنا، ولكن يكفينا منه ثبوت أنَّ من الصحابة من لم يكن بتلك المرتبة التي تنسب له من قبل المتأخرين عن تلك الحقبة الزمنيَّة، إذ مع اعترافهم أنفسهم بذلك فما الداعي لإنكارنا وقوعه منهم؟

٥ - قال الذهبي: انهزم الناس عن رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله يوم أحد فبقي معه أحد عشر رجلاً، وقال: أفرِد يوم أحد في سبعة نفر من الأنصار واثنين من المهاجرين[1]، وقيل: معهم سهل بن حنيف.

٦ - أخفى عثمان بن عفَّان أحد جنود قريش وهو معاوية ابن المغيرة بن أبي العاص (ابن عمه) وقد أخبر اللّه نبيَّه بذلك فأصدر أوامره بجلبه وقتله، ولمَّا جاءوا به ادَّعى عثمان أنَّه جاء يطلب الأمان له! فأعطاه الرسول الأمان له ثلاثة أيَّام، لكنَّه لم يخرج وبقي ثلاثاً يستعلم

الحلبيَّة للحلبي: ٢ / ٥٠٤، وقيل بأنَّه وصل في فراره إلى ينبع وكما حدَّث هو عن نفسه.

١ تاريخ الإسلام للذهبي ص ١٩١، صحيح مسلم: ٥ / ١٧٨، أقول: كان الاثنان من المهاجرين هما علي بن أبي طالب وسهل ابن حنيف، ولكن أقلامهم تأبى عن ذكر ذلك، فلاحظ الرسالة العثمانيَّة ص٢٣٩، وكذا شرح النهج: ١٣ / ٢٩٣.

أخبار الرسول ليأتي بها قريشاً، ولما عاد الرسول صلى الله عليه وآله في اليوم الرابع فرَّ معاوية، فأدركه زيد بن حارثة وعمار بن ياسر فرمياه حتى قتلاه[1].

٧ - ذكر الحاكم عن سعد: (لمّا جال الناس عن رسول الله صلى الله عليه وآله تلك الجولة تنحيتُ، فقلتُ: أذود عن نفسي، فإمَّا أن أُستَشْهد وإمَّا أن أنجو... إلى أن قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أين كنتَ اليوم يا سعدُ؟»، فقلتُ: حيث رأيتَ)[2].

وغيرها الكثير من المواقف والحوادث التي يتنزه القلم عن ذكرها، ويترفّع عن التعرّض لها، لوضوحها ومعرفة كل أحد بها.

ولا ينقضي العجب من هذا الكاتب وأمثاله حيث يحاولون التصفيق بيد واحدة، فيرموا عن غير قوسهم، ويركبوا غير مركبهم، كل ذلك انتصاراً لأقوام ذهبوا بأعمالهم ولهم حسابهم الخاص عند الله.

ولعلَّهم أسفوا لمَّا لم يشاركوهم في مثل تلك الأمور، فقاموا للدفاع عنهم حتى ينالوا ما نالوا؟

المقطع الرابع: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا

---

١ النزاع والتخاصم: ص ٢٠، السيرة الحلبيَّة: ٢ / ٢٦٠.

٢ المستدرك للحاكم النيسابوري: ٣ / ٢٦.

مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[١].

فإنَّ الآية أصرح ممَّا قبلها في بيان تحقق الفرار من الزحف خوفاً من المشركين، ففي تفسير الكشاف التصريح بأنَّه لم يبقَ مع الرسول إلا سبعة أو أحد عشر أو اثنا عشر..، وفي دلائل النبوة للبيهقي: عندما سُئِلَ صلى الله عليه وآله عن الفارِّين من أرض المعركة يومئذٍ، قال: كفر عامَّتهم[٢].

وعلى كلّ حال؛ فليس غرضنا بيان حكمهم، من حيث الثبات أمام العدو أو الفرار، ولكنَّها روايات تُذكر في الباب فأحببنا ذكرها، تنويهاً على حال الصحابة، في مقابل ما دلَّس به هذا الكاتب على القُرَّاء من إخفاء ما ينبغي إظهاره، أو التمسك بما هو ظاهر من صفاتهم لكل أحد وتعميمها على جميعهم، وكأنَّه ليس يوجد غيره من صفات وأحوال.

وأمَّا آخر هذا المقطع، والذي اقتطع الكاتب مثيله من آية أخرى، وهو صدور العفو من ساحة القدس الإلهي - وهو العفوُّ الكريم - فهو مزيد تفضل ومنَّة من الله

---

١ الأنفال: ١٥٥.

٢ دلائل النبوة: ٣ / ٢٨٣.

عزَّ وجلَّ عليهم، لعلَّهم يتَّقُون في مستقبل أيامهم ولا يرجعوا إلى مثلها، وذلك من حيث إنَّ الشيطان قد استزلَّهم فتابعوه، خاصة وأنَّهم قد سبق منهم بيعته صلى اللّه عليه وآله على أن ينصروه ويؤازروه وأن لا يخذلوه، فكان ذلك منهم خروجاً عن عهدهم، ونقضاً له، ومع كلِّ هذا فقد عفا اللّه عنهم.

ƙǸǲƵ Ǩg ǰŪ ǸĀūǩł ǺǪŪ ğyơ ǸĀūǩł ŋǽł Ǩǵ
ÝƘǶǄǭ ŋǾǬɯǢq ʂƷǩł Ǻq ƒ ŋƛƘƮdžǩł

والسؤال الذي أثاره هذا الكاتب، ونحتاج للإجابة عليه هو: أنَ عفو اللّه ومغفرته عنهم عفوٌ عن كل ذنوبهم حتى المستقبليَّة منها، فضلاً عن الماضية فيما قبل المعركة؟ أم أنَّه عفوٌ عمَّا صدر منهم في هذه المعركة من الفرار الذي صدر منهم ليس إلا؟

إنَّ الذي يُستفاد بل يَنُص عليه بعض المفسرين كتفسير ابن كثير والكشاف والبيضاوي والرازي، بل الجلُّ منهم: أنَّه عفوٌ عمَّا صدر منهم هنا في هذه الواقعة، إذن فتعدية العفو لغيره من المعارك أو المواقف - فضلاً عمَّا يصدر بعدها في مستقبل أيامهم - ليس منظوراً إليه في الآية إطلاقاً.

فمن يدّعيه يُحمِّل النص ما لا يتحمل، بل ينسب

إلى القرآن وإلى الرسول، بل إلى الله عزَّ وجلَّ ما لم يقله وما لم يُرِده، بلا دليل أو بينة وبرهان مبين.

وما الداعي إلى أن يعفو عنهم فيما يصدر عنهم مستقبلاً؟ وهل هو إلا تغريرٌ بهم وإلقاء لهم في المعصية؟ وبعد ذلك، ما فائدة التكليف لهم؟ إذ إنَّهم معفوٌّ عنهم في كل ما يصدر أو سيصدر عنهم مستقبلاً، فهم في الجنَّة على كل حال أحسنوا أو أساؤا؟!

وأي عاقل يرى أنَّ عفو السيِّد عن مولاه وعبده في ذنبٍ صدر منه في يومٍ ما بأنَّه عفوٌ صدر منه في حقّ كلّ ذنوب عبده ذاك؛ السابقة والمستقبلة؟؟

حاشا وكلاَّ للعقلاء أن يدَّعوا ذلك!

المقطع الخامس: قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ * الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾[1].

لمّا رجع المسلمون من أُحُد سمعوا بأنَّ أبا سفيان يهمُّ بالرجوع لهم وإعادة الكرَّة عليهم في المدينة،

---

١ آل عمران: ١٧٢ - ١٧٣.

فتهيأ النبي صلى اللّه عليه وآله للقتال وعزَّم بأصحابه أن يهبُّوا معه، فخرجوا بعد لأيٍ شديد، وامتناع من البعض[١]، والبعض استجاب مباشرةً، فخرجوا وخيَّموا في حمراء الأسد، ولكنَّ اللّه عزَّ وجلَّ قد أرعب قلوب المشركين فرجعوا إلى مكَّة، ولم يتقدموا إلى المسلمين، فرجع المسلمون سالمين في أنفسهم، وقد تفضل اللّه عليهم بالنعم، واختلف فيها: فقيل هي السلامة، وقيل التجارة التي ربحوها، وقيل رضا اللّه وعفوه عنهم، وقيل إرعاب المشركين.... .

وعلى كلّ حال، فالآية متصلة بما قبلها، فالاسم الموصول هنا راجع للمؤمنين المذكورين في الآية السابقة، فهم الذين استجابوا للّه وللرسول، ولذا قال النبي صلى اللّه عليه وآله: لا يخرج معنا إلا من شهد الواقعة بالأمس.

ولكنَّ تتمة الآية فيها مزيد اختصاص لجماعة منهم - في ما لو بنينا على أن كلمة «منهم» للتبعيض - فمفادها أنَّ الذين أحسنوا واتقوا من الذين استجابوا،

---

١ إذ أنَّ من أخبرهم بعزم أبي سفيان - وهو أبو نعيم وقيل غيره وهو المقصود من كلمة الناس - الرجوع، قد أرعبهم منه وخوَّفهم لقاءه، علاوة على كثرة الجرحى بينهم.

لا كل الذين استجابوا، فهي تتعرض لحكم مَنْ أحسن واتقى ممَّن استجاب فقط، وهذا هو المعنى الظـاهر منها.

خلافاً لما ذكره صاحب الكشَّاف والفخر الرازي وغيرهم من دعوى إرادة التبيين، وأنَّ كل الذين استجابوا أحسنوا واتقوا، فهي دعوى بلا برهان، إذ إنَّ إحسانهم مشكوك فيه، خاصة بعد أن صدر منهم ما صدر في الأمس المذكور وهو يوم أُحُد، ولذا ذكر في الكشاف أنَّ النبي صلى اللّه عليه وآله قال لهم: «سوف أخرج، وأقاتلهم، ولو كنت وحدي: حسبنا الله ونعم الوكيل».

الموقف الثالث: ما يتعلق بمعركة الخندق

وقد سُمِّيت الأحزاب لتحزب قريش والقبائل واليهود، وكانوا نحو عشرة آلاف فارس، والمسلمون كانوا ثلاثة آلاف، وفي هذه المعركة الكبيرة نزل ما يصل إلى تسع آيات من سورة الأحزاب.

ولكنَّ هذا الكاتب - كعادته - اقتصر منها على ثلاث آيات وهي مما يوافق هواه، وترك ما يمكن أن يخدش بكرامة مَنْ ينافح عنهم مستميتاً بماله ودمه

وقلمه وفكره، فاستمعْ لهذه الآيات لترى صحَّة دعوانا وكذب دعواه على إطلاقها:

المقطع الأوَّل: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا * إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾[1].

في هذه الآيات تذكير من اللّه عزَّ وجلَّ بنعمته على المسلمين بأن أعانهم على ردِّ تلك الجنود حيث جاءوهم من جانبين: من الأعلى وهم اليهود والقبائل، ومن الأسفل وهم قريش.

كما بيَّنت الآيات الحالة النفسيَّة للمسلمين من خلال الفزع الذي انتابهم بصورتين: زاغت الأبصار؛ أي مَالَتْ وكادت أن تأفل وتطير من محلها، وبلغت القلوب الحناجر، كنايةً عن قرب الموت لهم.

فظنوا ظـنَّ السوء بالنبي ونبوَّة النبي فقالوا: لو كان

---

١ الأحزاب: ١١.

نبي حقٍّ لما خذله ربُّه، وهو ظنٌّ سوء باللّه عزَّ وجلَّ، وشكٌّ في حقيَّة رسالة النبي صلى اللّه عليه وآله.

وإليك شاهداً على ذلك الخوف والقلق النفسي والشك الذي انتابهم: فقد ذكر البيهقي[١] في سننه الكبرى عن حذيفة: قال رجل: لو أدركتُ رسول اللّه قاتلتُ معه أو أبليتُ، فقال له حذيفة: أنتَ كنتَ تفعل ذلك؟ لقد رأيتنا مع رسول اللّه ليلة الأحزاب في ليلة ذات ريح شديدة ومرَّ صلى اللّه عليه وآله فقال: ألا رجل يأتيني بخبر القوم يكون معي يوم القيامة، فلم يجبه منَّا أحدٌ، ثمَّ نادى الثانية ثمَّ قال: يا حذيفة قم فأْتِنَا بخبر القوم، فلم أجد بدَّاً من ذلك، وقد ذكر اسمي. وقد رواه مسلم أيضاً[٢].

ومن عباراتهم قول معتب بن قشير: كان محمد يعدنا كنوز كسرى وقيصر ونحن لا نقدر الآن أن نذهب إلى الغائط[٣].

وعلى هذا فقوله تعالى: ﴿ وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا ﴾ خطاب للذين آمنوا، هذا مع أنَّ منهم الثابت القلب

---

١ سنن البيهقي: ٩ / ١٤٨.

٢ صحيح مسلم: ٣ / ١٤١٤.

٣ تفسير الكشاف: ٣ / ٥٢٦.

والقدم، هذه طائفة خاطبها القرآن، والطائفة الثانية الذين هم على حرفٍ، والثالثة هم المنافقون الذين لم يكن الإيمان إلا بألسنتهم.

فأمَّا قول المنافقين؛ فقد حكاه القرآن، وأمَّا قول مرضى القلوب فهو ما حكيناه سابقاً عن معتب وأمثاله، وأمَّا قول المؤمنين فهو: أنَّنا مُبْتَلَوْن من اللّه في هذه الوقعة، ولذا حكى عنهم القرآن... ﴿وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيدَاً...﴾.

وأمَّا ضعاف القلوب فهم الذين قالوا: ﴿إنَّ بُيُوتَنَا عورَةٌ وَمَا هي بِعَورَةٍ إن يُرِيدُونَ إلاَّ فِرَاراً...﴾.

المقطع الثاني: قوله تعالى: ﴿وَلَقَد كَانُوا عَاهدُوا اللهَ مِن قَبْلُ لاَ يُوَلُّونَ الأَدْبَارَ وَكَانَ عَهدُ اللهِ مَسئُولاً * قُل لَن يَنْفَعَكُمُ الفِرَارُ إن فَرَرْتُم مِنَ المَوتِ أَوْ القَتْلِ وَإذَاً لاَ تُمَتَّعُونَ إلاَّ قَلِيلاً﴾[1].

من الأمور التي أوجبت زيادة خوف المسلمين ووجيبهم هو مخالفة بعض القبائل لهدنتها مع النبيِّ، ونقضها للعهد المضروب منهم للنبيِّ بأن لا يحاربوه ولا ينتصروا لغيره عليه، وهذا الذي أوجب لهم

١ الأحزاب: ١٥ – ١٦.

الخوف ونقض ما عاهدوا رسول اللّه في بيعتهم له بعد تراجعهم له في أحد حيث أخذ العهد عليهم أن لا يفروا ثانية وإلا نزل بهم العذاب، وبأن لا يولّوا الأدبار، ولا يفرُّوا من الزحف، والتقريع والإيعاد من اللّه لهم واضح من قوله: ﴿ وَكَانَ عَهدُ اللهِ مَسْؤُولاً ﴾، فإنَّهم سيسألون عن ذلك العهد، وما كان منهم اتجاهه، وهل حافظوا عليه أم نقضوه وجعلوه وراء ظهورهم؟

ثمَّ يعقب على ذلك بأنَّ الفرار الذي صدر منكم لن ينفعكم، فإنَّ الموت ليس ممَّا يختص تحققه بأرض القتال والمعركة، بل هو بيد اللّه يجعله حيث يشاء ويوقعه بمن شاء وقتما يشاء.

ونضيف هنا توضيحاً للإشكال: إنَّ الذين عاهدهم اللّه على عدم الفرار هل هم الصحابة أم المنافقون أم الكفار؟ وهل أنّ الفرار وقع منهم أم لا؟ وهل حصلوا على ما أمَّلوا من الفرار أم لا؟

نرجو من الكاتب أن يتأمل في النصوص القرآنية جيداً قبل أن تمسك يده بالقلم مرَّة أخرى.

المقطع الثالث: قوله تعالى: ﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللهُ المعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالقَائِلِينَ لإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلاَ يَأْتُونَ البَأْسَ إِلاَّ قَلِيلاً * أَشِحَّةً عليكُمْ فَإِذَا جَاءَ الخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ

إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهم كَالَّذِي يغْشَى عليه مِن المَوْتِ فَإِذَا ذَهبَ الخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَةً على الخَيْر أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ الله أَعْمَالَهم وَكَانَ ذَلِكَ على الله يَسِيرًا ﴾[1].

وحقيقة الأمر أنَّ اللّه يعلم حال هذه الطائفة من الصحابة، فهم ظاهراً مؤمنون، بل يتظاهرون بذلك أمام المؤمنين، ولكنَّهم إنما يسايرون المؤمنين لتثبيطهم عن الحرب ومنعهم من الخروج مع الرسول صلى اللّه عليه وآله لمقاتلة المشركين بعد ذلك، وكانوا يقولون: ما كان محمدٌ وأصحابه إلا أكلة رأس، ولو كانوا لحماً لأكلهم أبو سفيان.

فكانوا يستدعون ضعاف القلوب من الصحابة إليهم ويثبطونهم عن القتال، لكنَّ كلَّ هذا لا يعني أنَّهم لم يكونوا من الصحابة ظاهراً، خاصة على معنى الصحبة عندكم، وهو: من رأى النبي زماناً، أو مَن رآه وصحبه وروى عنه.

وكذا على المعنى المختار لك أيها الكاتب بأنَّ الصحابي من آمن بالنبي وصحبه ولو لفترة، ولا شكَّ

---

١ الأحزاب: ١٨ - ١٩.

أنَّ هؤلاء ممَّن رآه وآمن به، ولكن هكذا تكون القلوب المريضة التي لم تؤثّر فيها الصحبة، وكما وصفها القرآن فقد قال تعالى حاكياً عنهم: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ﴾[1]، فتراهم يُسايِرون المؤمنين إلا أنَّ قلوبهم ليست معهم، ويخافون أن يتخطفهم الموت، والمعبَّر عنه في الآيات بالبأس، فلا يقدمون عليه إلا للدفاع عن أنفسهم.

ولكن بعد انتهاء المعركة يُحادُّون المؤمنين بألسنتهم طلباً للغنائم، وكأنَّهم قاتلوا معهم، ولذا أخبر في آخر الآية بأنَّهم يُظهرون لكم الإيمان، ولكنَّهم ليسوا مؤمنين واقعاً: ﴿أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا﴾.

المقطع الرابع: قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾[2].

هذا بيان لقسم من الصحابة الذين قد ناصروا النبي وصدقوا ما عاهدوا عليه، وهم الذين بلغوا من الإيمان الدرجة الكبيرة، ولذا فلم يزدهم تجمُّع الأحزاب خوفاً، و

---

١ البقرة: ١٤.

٢ الأحزاب: ٢٢.

لم يورثهم شكاً في دينهم، أو في رسالة نبيهم، كما وقع ذلك للطائفة السابقة من الصحابة؛ فقال حاكياً حالهم: ﴿وَيَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا﴾، حيث ظنُّوا ظنَّ الجاهليَّة، ولكنَّ هذا ليس مدحاً لكل الصحابة؛ كما هو واضح.

وعلى هذا يتَّضح أنَّ الصحابة لم يكونوا كلّهم على نسقٍ واحدٍ، وفي درجة واحدة من الإيمان بالنبي وبحقيَّة رسالته، بل كانوا يتفاوتون في ذلك، وهذا في حد ذاته ليس عيباً فيهم، ولكنَّ العيب والنقص فيمن يدعي لهم ما لا يدعونه لأنفسهم.

المقطع الخامس: ما يتعلّق ببطل المعركة الكبير أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: فمن المؤسف جدَّاً أن يحاول هذا الكاتب اللفَّ والدوران حول آيات العفو والغفران للصحابة، ويعطف على ذلك بآيات التأييد والنصر من قبل اللّه عزَّ وجلَّ للمؤمنين، دون تعرض لمن تمَّ النصر والتأييد على يده وبسيفه.

ففي معركة بدر الكبرى كان أكثر قتلى المشركين بيد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وكذا في أُحد، وهكذا في معركة الخندق هذه.

فمن الذي برز لعمرو بن عبد ودّ العامري حينما

طلب المبارزة من المسلمين؟ هاك النصوص التي تحكي ذلك:

١ - قال حذيفة لبعضهم:...(يا لُكَع وكيف لا يحتمل؟ وأين كان أبو بكر وعمر وحذيفة - يعني نفسه - وجميع أصحاب محمد صلى الله عليه وآله يوم عمرو بن عبد ودٍّ، وقد دعا إلى المبارزة فأحجم الناس كلهم ما خلا علياً، فإنَّه برز إليه وقتله على يده.

والذي نفس حذيفة بيده لَعَمَلُه ذلك اليوم أعظم أجراً من عمل أصحاب محمد صلى الله عليه وآله إلى يوم القيامة)[1].

٢ - روى الحاكم في المستدرك قول النبي صلى الله عليه وآله: «لَمُبَارَزَةُ علي بن أبي طالب لعمرو بن عبد ودٍّ يوم الخندق أفضل من أعمال أمتي إلى يوم القيامة»[2].

وفي لفظ آخر: أفضل من عبادة الثقلين، وفي ثالث:

---

١ الإرشاد للمفيد: ١ / ١٠٢.

٢ المستدرك على الصحيحين: ٣ / ٣٢ - ٣٤، وراجع ما يقرب من هذه الألفاظ: تاريخ بغداد: ٣ / ١٩، مناقب الخوارزمي: ص ١٠٤، المغازي للواقدي: ٢ / ٤٧٠ - ٤٧١، عيون الأثر: ٢ / ٦٢، نهاية العقول للرازي: ص١٠٤، البداية والنهاية لابن كثير: ٤ / ١٢٢، دلائل النبوة: ٣ / ٤٢٢، سيرة ابن هشام: ٣ / ٢٦٥، الطبقات لابن سعد: ٢ / ٦٨، السيرة الحلبيَّة: ٢ / ٣٢٠.

تعدل عمل الثقلين.

فيا ترى لو سألنا هذا الكاتب: هل كان من الحق والعدل والإنصاف أن تهمل ذكر رجل كان سبب النصر في تلك المعركة بل في غيرها أيضاً، محاولاً إخفاء الحقيقة الناصعة، وتجعله كأحد عامَّة الصحابة الذين تمتدحهم لمجرد صحبتهم؟

وهل تعدل منْ تساوي أو تفضل ضربَتُه فقط في ذلك اليوم لعمرو بن عبد ودّ كل أعمال الثقلين بل عبادتهم، وإلى يوم القيامة، تعدله بمن جبن عن قتال الأبطال؟ فما لكم كيف تحكمون!!؟

وهل بقي المسلمون وتمَّ لهم النصر لولا سيف علي عليه السلام في ذلك اليوم، وفي غيره من أيَّام المسلمين، فأين تشدّقك في الكثير من خطبك وكلماتك عبر الإنترنت وغيره بحبّ علي، وبأنَّك الموالي له والمحبّ، والمبغض لعدوه؟؟ وهل ينفتل المحبّ عن ذكر محبوبه؟؟

أم هل يقدر المحبّ على أن لا يطيع محبوبه؟ بل يرى اللذَّة كل اللذَّة ومنتهى الكمال أن يتوصل لإداء فرض المحبَّة من الطاعة والولاء، أليس كذلك أيها المحبّ الواله!!؟

الموقف الرابع: ما يتعلّق بصلح الحديبيَّة

لقد وقع صلح الحديبيَّة في السنة السادسة من الهجرة، ومنشأ ذلك: أنَّ النبي صلى اللّه عليه وآله قد رأى رؤيا أنَّه دخل البيت، وحلق رأسه، وأخذ مفتاح البيت، وعرَّف مع المعرِّفين، فخرج ومعه ألف وأربعمائة من أصحابه، وكان خارجاً قاصداً للعمرة لا الحرب، فمنعته قريش من دخول مكَّة، وتمَّت المراسلات بينهم حتى تمَّ الصلح المذكور، وكان الكاتب للصلح هو عليٌّ عليه السلام[1]، فكان سلام اللّه عليه هو مبعوث الرسول صلى اللّه عليه وآله إلى قريش[2]، وكان الصلح بشروط معينة مذكورة في محلها.

وهنا عدَّة مقاطع:

المقطع الأول: قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً * لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا

---

١ روي في المصنف ٥ / ٣٤٣ رقم ٩٧٢١ عن عكرمة بن عمار قال: أخبرنا أبو زميل سماك الحنفي أنَّه سمع ابن عباس يقول: كاتب الكتاب يوم الحديبيَّة علي بن أبي طالب وقال معمر: سألتُ الزهري فضحك وقال: هو علي بن أبي طالب ولو سألت عنه هؤلاء – يعني بني أميَّة – لقالوا: عثمان.

٢ تاريخ الطبري: ٢ / ٦٣٠.

تَأَخَّرَ... ﴾[1].

والمراد أنَّ اللّه عزَّ وجلَّ سيرزقك الفتح المبين مستقبلاً، وهذا الصلح مقدمةٌ له ليس إلا، بل هو الفتح واقعاً حيث إنَّ قريش اعترفت بوجود مستقل للنبي صلى اللّه عليه وآله، ولرسالته وللقوة التي عنده، فاضطرت للمصالحة معه والمهادنة لمدَّة عشر سنين، فجرى الصلح كما أراد النبي بإرادة اللّه، ولكنَّ قِصر نظر البعض أوجب امتناعهم عن ذلك وتأبيهم عن قبوله، فصدر منهم ما أغضب الرسول، فاستمع لهذا الكاتب ما يقول: (الاشتياق إلى مكَّة يفوق الوصف، وقد بُشِّروا بدخولها، ولكنَّ محبَّتهم للرسول وطاعته والتأسي به والزهد في الدنيا والرغبة فيما عند اللّه هي سمة ذلك الجيل)[2].

واقرأ ما نتلوه عليك هنا لترى صحَّة دعواه من كذبها:

١ - روى البخاري أنَّ عمر بن الخطاب كان يسير مع النبي صلى اللّه عليه وآله ليلاً فسأله عمر عن شيءٍ فلم يُجبه رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله، ثمَّ سأله فلم يجبه،

---

١ سورة الفتح: ١ - ٢.

٢ صحبة رسول اللّه: ص ٢٩ - ٣٠.

ثمَّ سأله فلم يجبه، فقال عمر - يخاطب نفسه ـ: ثكلتك أمُّك يا عمر؛ نزرت رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله ثلاث مرات كلّ ذلك لا يجيبك.

قال عمر: فحركتُ بعيري ثمَّ تقدمتُ أمام المسلمين وخشيت أن ينزل فيَّ قرآنٌ، فما نشبتُ أن سمعتُ صارخاً يصرخ بي، قال: لقد خشيتُ أن يكون نزل فيَّ قرآنٌ، فجئت رسول اللّه فسلَّمت عليه، فقال: لقد أنزلت عليَّ الليلة سورة لهي أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس، ثمَّ تلا: ﴿ إنا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحَاً مُبِينَاً ﴾[١].

٢ - قال في الدرر الكامنة[٢]: عظم الصلح على نفر من المسلمين حتى كان لبعضهم فيه كلام.

أقول: ولم يصرح بهذا البعض مَنْ هو؟ تحاشياً عن ذكر اسمه لئلا يستلزم منقصة توجب زوال الهالة

---

١ قد حكى هذه النسبة للبخاري الكثير من المصادر، ولكنَّنا لم نعثر عليها في الموضع المحتمل وجود الرواية فيه وهو: ٢ / ٩٧٨، ولكنَّ كل من ذكر الرواية نسبها للبخاري، فلعلها حُذِفت من الطبعات الجديدة، ومنها: تفسير القرطبي: ١٦ / ٢٥٩ نقلها بلفظ البخاري وفيه: ثكلت أم عمر، تفسير ابن كثير: ٤ / ١٨٤ وفيه: تقدمتُ مخافة أن يكون نزل فيَّ شيء، مسند أبي يعلى: ١ / ١٣٨، البداية والنهاية: ٤ / ١٧٦، الإمتاع: ص ٣٠٢.

٢ الدرر الكامنة: ١ / ١٩٣.

القدسيَّة حوله، لكونه من كبار الصحابة، مع عدم توجههم إلى أنَّ ذلك الشخص يعترف على نفسه بذلك، ولا يجد في نفسه مانعاً عن ذكر هذا الكلام عنه.

٣ - روى البخاري[١]: قال: فقال عمر بن الخطاب: فأتيتُ نبي اللّه صلى اللّه عليه وآله.

فقلتُ: ألستَ نبي اللّه حقاً؟ قال: بلى.

قلتُ: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى.

قلتُ: فلمَ نعطي الدنيَّة في ديننا إذاً؟ قال: إني رسول اللَّه، ولست أعصيه وهو ناصري.

قلتُ: أو ليس كنت تحدثنا أنَّا سنأتي البيت فنطّوّف به؟ قال: بلى، فأخبرتك أنَّا نأتيه العام؟

ثمَّ خرج من عنده وجاء أبا بكر وحدّثه بما حدّث به النبي صلى اللّه عليه وآله فأجابه بما أجابه. قال الزهري: قال عمر: فعملتُ لذلك أعمالاً[٢]!!!

---

١ صحيح البخاري: ٢ / ٩٧٨ برقم ٢٥٨١، صحيح مسلم: ٣ / ١٤١١، واللفظ هنا للبخاري.

٢ قال ابن أبي الحديد في شرح النهج ١ / ٥٩: إنَّ من الأعمال التي عملها أن قطع شجرة الرضوان التي بايع الناس عندها رسول اللّه، وكان المسلمون يأتونها فيتبركون بها، وقال السيوطي في تفسير هذه الآية: قال عمر: ما شككتُ إلا يومئذٍ. أقول:

٤ - قال الواقدي في مغازيه:...جعل عمر يردُّ الكلام على رسول اللّه...[١].

٥ - وفي نفس المصدر السابق: ارتبتُ ارتياباً لم أرتبه منذ أسلمتُ إلا يومئذٍ، وراجعتُ النبي مراجعة ما راجعته مثلها قط، ولو وجدتُ ذلك اليوم شيعةً - وفي رواية مائة - على مثل رأيي، تخرج عنهم رغبة عن القضيَّة لخرجتُ[٢].

وفي هذا الكلام دلالة واضحة على الرغبة في التمرد على قرار النبي بالصلح، ولكنَّ المشكلة هي عدم وجود الأنصار.

٦ - ذكرنا سابقاً: أنَّ النبي صلى اللّه عليه وآله أمر الصحابة بعد الصلح أن يحلقوا وينحروا هديهم، فلم يقم أحدٌ منهم، فدخل إلى أمّ سلمة شاكياً لها حال أصحابه، فقالت: لا عليك منهم، اخرج واحلق.

فخرج وحلق وذبح، فقاموا متثاقلين الواحد تلو الآخر، فحلق جماعة وقصر آخرون[٣]، منهم عثمان بن

إن متعلق الشك غير مذكور فلعله أبهم، والإبهام للتعميم والتعظيم!!

١ كتاب المغازي: ٢ / ٦٠٦.

٢ مغازي الواقدي: ٢ / ٦٠٧.

٣ البداية والنهاية: ٤ / ١٦٩.

عفَّان[١].

٧ - وبعد ذلك الصلح قال رسول الله: «يرحم الله المحلِّقين»، قالوا: والمقصرِين؟

قال: «يرحم الله المحلقين»، قالوا: والمقصِّرين؟

قال: «يرحم الله المحلقين». قالوا: والمقصِّرين؟

قال: «والمقصرين»، قالوا: يا رسول الله؛ فلمَ ظاهرتَ الترحّم للمحلِّقين دون المقصِّرين؟ قال: «لأنهم لم يَشُكُّوا»[٢].

المقطع الثاني: قوله تعالى: ﴿هوَ الذِّي أَنزَلَ السكِينَةَ فِي قُلُوبِ المؤمِنِينَ لِيزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِم وَلِلَّه جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللهُ عليماً حَكِيمَاً﴾[٣].

ليس من الأمور الخافية أنَّ السكينة التي أنزلها الله هي في قلوب المؤمنين، لا في قلوب كل الصحابة، كما

---

١ مسند أحمد: ٣ / ٨٩ حديث ١١٨٦٥، طبقات ابن سعد: ٢ / ١٠٤.

٢ مسند أحمد: ١ / ٣٥٣ حديث ٣٣١١، تاريخ الطبري: ٢ / ٦٣٧، البداية والنهاية: ٤ / ١٦٩، وفي رواية قال مالك بن ربيعة: وأنا محلوق يومئذٍ فما سرَّني حمر النعم أو خطر عظيم، الطبقات لابن سعد: ٢ / ١٢٤.

٣ الفتح: ٤.

يمكن لهذا الكاتب أن يدعيه، إذ إنَّه قد مرَّ عندنا سابقاً - عبر بعض الآيات - نفيُ الإيمان عن بعض الصحابة واقعاً، وإن كانوا محكومين بالإيمان على حسب ما يُظهرُونَه أمام المؤمنين.

كما أن منهم مرضى القلوب الذين تحدث القرآن عنهم في آيات متعددة: ﴿ وأمَّا الذِّينَ فِي قُلُوبِهِم مَرَضٌ فَزَادَتْهم رِجسَاً إلى رِجْسِهِم ﴾[1]، ﴿ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَم ارْتَابُوا ﴾[2]، ﴿ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ ﴾[3].

فهل أنّ السكينة التي أُنزِلَت عمَّتهم كلَّهم أيُّها الكاتب؟ وقد رأينا أنَّ منهم الشاكَّ، ومنهم المرتابَ، ومنهم المنافِق، والمثبِّط، و..و..؟

المقطع الثالث: قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ رضي الله عَنْ المُؤمِنِينَ إذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشجَرَةِ فعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهم فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عليهم وَأَثَابَهم فَتْحَاً قَرِيبَاً ﴾[4].

تتعرض هذه الآية لما وقع من بيعة الرضوان تحت

---

١ التوبة: ١٢٥.

٢ النور: ٥٠.

٣ المائدة: ٥٢.

٤ الفتح: ١٨.

الشجرة المعروفة بشجرة الرضوان، والتي قدّمنا سابقاً أنَّ الخليفة الثاني قطعها بعد ذلك وفاءً لوعده الذي ضربه على نفسه في صلح الحديبيَّة بقوله: «فعملتُ لذلك أعمالاً».

حدَّث سلمة بن الأكوع فقال: بينما نحن قافلون من الحديبيَّة نادى منادي النبي صلى الله عليه وآله: أيّها الناس؛ البيعة..البيعة، قال: فسرنا إلى رسول اللّه، وهو تحت شجرة سمُرَة، فبايعناه، وذلك قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾.

كما قد ذُكرَ في سبب نزولها: أنَّ الرسول صلى اللّه عليه وآله حين نزل الحديبيَّة بعث جوَّاس بن أميَّة الخزاعي رسولاً إلى أهل مكَّة، فهمُّوا به، فمنعه الأحابيش، فلمَّا رجع دعا عُمَرَ ليبعثه فقال: (إنِّي أخافهم على نفسي، لِمَا عُرِف من عداوتي إيَّاهم، وما بمكَّة عَدَوِيٌّ يمنعني، ولكن أدلُّك على رجلٍ هو أعزّ بها مني وأحبّ إليهم: عثمان بن عفَّان فبعثه...)[1].

ولقد حاول هذا الكاتب أن يثبت أنَّ الصحابة كلَّهم

---

١ تفسير الكشاف: ٤ / ٣٣٩، وأخرجه أحمد من رواية عروة عن المسور ومروان

ممدوحٌ، وكلَّهم عدولٌ من خلال هذه الآية، بقرينة أنَّ الرضا في الآية عامٌّ شاملٌ لكلِّ الصحابة، ولكنَّ ما رامه ليس ممَّا يمكن إثباته من هذه الآية فضلاً عن غيرها من الآيات لوجوه:

أوّلاً: إنَّ متعلق الرضا في الآية هم «المؤمنون» وليس الصحابة لفظاً ولا معنى، وذلك لعدم اعتبار كل الصحابة مؤمنين، وهذا مسلَّم حتى بالنسبة للكاتب لو أعطى التأمل حقَّه، فالمرضيُّ عنه مَن تعنون بعنوان المؤمن، وليس من اتصف بأنَّه من الصحابة، وإن كان المؤمنون من الصحابة، لكن قد ثبت أن في الصحابة من خرج عن الإيمان، فلا تنافي بين الأمرين.

ثانياً: قد اعترف الكاتب بأنَّ منادي الجهاد نادى: لا يخرج معنا إلا من شهد الواقعة، فممَّن خرج معهم جابر بن عبد اللّه وهو من الذين لم يشهدوا المعركة معهم[١]، لكنَّه من المؤمنين حقاً فلم يمانع النبي في حضوره معهم، وذلك لمعرفته به.

وممَّن كان في بيعة الرضوان عبد اللّه بن أبي، رئيس المنافقين، ومن المعروف المسلَّم أنَّ عبد اللّه هذا

---

١ صحبة رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله: ص ٢٦.

ممَّن شهد البيعة.

وممَّن حضر البيعة أيضاً الحرقوص بن زهير السعدي أو التميمي، وهذا صار من رؤوس الخوارج بعد ذلك، بل هو الذي قال للنبي، (اعدل يا محمد)، وقد تقدم منَّا ذلك.

ثالثاً: إن متعلق الرضا في الآية مبهم، وعلى هذا فلا يمكن لنا ولا له بأن نحدد متعلق الرضا ما هو؟

ولكنَّ الذي يمكن البحث فيه هو أنَّ الإهمال لمتعلق الرضا لا يمكن من قبل الحكيم تعالى، حيث يلزم أن يكون صدور الرضا منه تعالى عنهم سواء فعلوا ما يوجبه أو لا.

وكذا الإطلاق غير ممكن في المقام، وذلك للزوم أن يصدر الرضا منه تعالى عنهم حال صدور أي فعل، وفي كل زمان - الماضي والحاضر والمستقبل - وكلّ مكان، وهذا ما لا يلتزم به عاقلٌ، خاصة مع ملاحظة آيات العذاب لبعضهم وما نزل فيهم، وتكفينا شاهداً على هذا سورة الفاضحة - التوبة -.

إذن؛ فليس إلا تقييد الرضا، فلابدَّ من كون الرضا مقيَّداً بالرضا في زمان خاص وعن فعل مخصوص في ظرف قد اختص به، والمرضيُّ عنهم جماعةٌ خاصة

كما نصت عليه الآية، علاوة على كون ذلك غايته ذلك الزمان، دون ما بعده من الزمان.

إذن؛ فلا دلالة في الآية على شيء من الإطلاق ممَّا يروم إثباته هذا الكاتب.

المقطع الرابع: قوله تعالى: ﴿وَالسابِقُونَ الأَوَّلُون من المُهاجِرِينَ وَالأَنْصار وَالذِّينَ اتَّبَعُوهم بِإحْسَانٍ رَضِيَ الله عَنْهم وَرَضُواْ عَنْه وَأَعَدَّ لَهم جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحتَها الأَنْهارُ خَالِدِينَ فِيها أَبَداً ذَلِك الفَوْزُ العَظِيم﴾[1].

لقد حاول الكاتب جاهداً إقناع القارئ بأنَّ الصحابة لا يمكن أن تصل لساحتهم أقلام النقد والطعن من أي أحدٍ، بل تشدق بمنع خيال المتخيل للطعن، وهو من المبالغة المفضوحة، خاصة مع وجود القرائن على صحة نقد الناقد، بل واقعيَّة ذلك في حد ذاته، وباعتراف كبراء القوم به.

بل الآيات التي بعدها والتي قبلها تؤلِّف منظومة واحدة في المعنى الذي نروم بيانه، من عدم استواء عدالة الصحابة وإخلاصهم وإيمانهم على درجة واحدة.

---

١ التوبة: ١٠٠.

فيا ترى إلى متى نظل نكابر عقولنا ووجداننا؟

وعلى كل حال فهاك بعض الكلمات حول هذه الآية، تنفع في ردّ ما ذكره وإثبات ما منع من تحققه، فضلاً عن تصوره، فضلاً عن تخيله:

أوّلاً: إنَّ الحكم المذكور في الآية هو - كما يقول العلماء - من القضايا الخارجيَّة، أي من الوقائع الخاصة الشخصيَّة المختصة بأشخاص بأعيانهم، ومثل هذه القضايا لا يمكن تحصيل حكم كلي منها.

فالسابقون جماعة خاصة، والمهاجرون كذلك، والذين اتبعوهم بإحسان مثلهم، لكن هم ليسوا كل متبع لهم، بل خصوص من اتبعهم باختيار منهم وإحسان، فلا تشمل الآية المتبع لهم عن كراهية وقهر، أو المتبع لهم لأغراض دنيويَّة.

هذا بالنسبة للموضوع.

بل حتى لو كانت من القضايا الحقيقيَّة لم تنفع هذا الكاتب في شيء من أمر مدعاه، وذلك لثبوت خروج بعض الأفراد عنها قطعاً، وقد قال أهل الاختصاص يكفي لنقض الموجبة الكليَّة ثبوت السالبة الجزئية.

فما يدَّعيه من ثبوت الرضا لكل الصحابة مطلقاً، وما يدّعي لنقض هذه الكليَّة ثبوت أنَّ بعض الصحابة

ممَّن سبق في الهجرة أو من الأنصار قد فعل ما يوجب غضب اللّه عليه، ولو بتوسط غضب نبيِّه كما في روايات كثيرة.

وهذا ثابت بالنصوص الكثيرة حول بعض الأشخاص، كما مرَّ منَّا ذكر بعض الروايات المثبتة لذلك عنهم، فلا تبقى للقضية الكليَّة التي يريدها دعامة إلا وانهدَّت.

ثانياً: وأمَّا بالنسبة لمحمول القضيَّة فالرضا الذي منهم عن اللّه لا ينفع المستدل في شيء ممَّا يروم إثباته[١].

وأمَّا الرضا الذي من اللّه عنهم فعمومه لجميعهم هو محل الكلام، فإنَّه من الأمور التي تتَّسع وتضيق على حسب متعلَّق الرضا، فإن كان وسيعاً عاماً كان الرضا كذلك، وإن كان ضيقاً فهو كذلك أيضاً.

وهنا نجد أنَّ الرضا قد صدر عن خصوص مَنْ سبقت

---

١ وذلك لوضوح اختلاف متعلق الرضا بين رضا اللّه عزَّ وجلَّ ورضا الناس، بل حتى لو عرف متعلق رضا اللّه لم يُجدِ، إذ إنَّ رضاهم عن اللّه وعن نبيه صلى اللّه عليه وآله من الواجب عليهم تحصيله ووظيفة مطلوبة منهم، بينما رضا اللّه عنهم كان محض تفضل وامتنان منه تعالى عليهم.

له الهجرة، بل ليس كلّ من سبقت له الهجرة، وإنَّما خصوص الأوائل منهم، وثابت لمن سبَقَتْ منه النصرة للنبي صلى الله عليه وآله، لا لكل صحابي من الأنصار.

بل يمكن لنا القول بأنَّ الهجرة الممدوحة والمرغوب فيها من قبل الله عزَّ وجلَّ هي خصوص الهجرة إلى الله وفي الله، كما في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هاجَرُوا فِي اللهِ..﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِن بَيْتِه مُهاجِرًا إلى اللهِ وَرَسُولِه ثُمَّ يُدْرِكه المُوتُ...﴾[2].

وهكذا أكثر الآيات الذاكرة للهجرة أو النصرة، كما في قوله تعالى: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمنُوا كُونُوا أَنْصارَ اللهِ كَمَا قَالَ عِيسَى بن مَرْيَم لِلحَوَارِيينَ مَن أَنْصارِي إِلَى اللهِ﴾[3].

ثالثاً: يمكن النقض على هذا المدَّعي ببعض الآيات الأخر التي لا يمكن له الالتزام بها، ففي مثل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصابَتْهم مُصيبَةٌ قَالُوا إنَّا لله وَإنَّا إِلَيْه رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عليهم صلَوَاتٌ مِن رَبهم وَرَحمَةٌ...﴾، فهذه تثبت المدح بالصلاة من الله على

---

١ النحل: ٤١.

٢ النساء: ١٠٠.

٣ الصف: ١٤.

كل من أصابته مصيبة فقال هذا القول، ولو كان القائل غير مؤمنٍ.

فما يتشدق به هذا الكاتب من مدحٍ مدَّعى للصحابة، وقد استفاده من الآية، ليس ممَّا يوجب اختصاصاً لهم بالمدح دون غيرهم من الناس.

وكذا في قوله تعالى: ﴿قَالَ اللّهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصادِقِينَ صِدْقُهم لَهم جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِها الأَنْهارُ خَالِدِينَ فِيها أَبَدَاً رَضِي اللّهُ عَنْهم وَرَضُوا عَنْه ذَلِكَ الفوزُ العظِيم﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ المُسلِمِينَ وَالمُسلِمَاتِ وَالمُؤمِنِينَ وَالمُؤمِنَاتِ وَالقَانِتِينَ وَالقَانِتَاتِ وَالصادِقِينَ وَالصادِقَاتِ وَالصابِرِينَ وَالصابِرَاتِ وَالخَاشِعِينَ وَالخَاشِعَاتِ وَالمُتَصدِّقِينَ وَالمُتَصدِّقَاتِ وَالصائِمِينَ وَالصائِمَاتِ وَالحَافِظِينَ فُرُوجَهم وَالحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللّهَ كَثِيرَاً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللّهُ لَهم مَغْفِرَةً وَأَجراً عَظِيمَاً﴾[2].

فهل يلتزم الكاتب بثبوت الرضا لكل من كان صادقاً ولو لم يكن جامعاً للصفات الأخرى الموجبة لدخول الجنَّة والخلود فيها؟

---

١ المائدة: ١١٩.

٢ الأحزاب: ٣٥.

وهل يقبل الكاتب أن يكون كل من تحصل على واحدة من هذه الصفات، المذكورة في الآية الثانية يكون مستحقاً للمغفرة والأجر العظيم، ولو لم يكن جامعاً للصفات المعتبرة في المستحق للمغفرة ممَّا لم يذكر في الآية، كصفة الثبات في القتال وعدم الفرار من الزحف، وصفة الإطاعة للّه وللرسول والوفاء بالعهد والأمانة والانصياع لأوامره ونواهيه، وصفة المصلي المؤدي للحج و..و..و، فهل يلتزم الكاتب بهذا هنا؟

وكل ما يجيب به على هذا نجيب به على مدَّعاه في الآية.

رابعاً: قد اختلف في المراد بالسابقين من المهاجرين، مَنْ هم؟

فقيل: إنَّهم من صلَّوْا القبلتين.

وقيل: الذين شهدوا معركة بدر.

وعن الشعبي: من بايع بيعة الرضوان ما بين الهجرتين، ومن الأنصار أهل بيعة العقبة الأولى، وكانوا سبعة نفر، وأهل العقبة الثانية وكانوا سبعين[1].

وعلى كلّ حال: فسواء جعلنا المهاجرين والأنصار

---

١ تفسير الكشاف: ٢ / ٣٠٤.

مِصداقَيْ (السابقون) بكسر كلمة الأَنْصارِ أو جعلنا الأنصار معطوفاً على السَّابِقُون فيرتفع، فيكون قسماً آخر في مقابل ﴿ السَّابِقُون ﴾ فهذا لا يغيّر في النتيجة شيئاً، وذلك لأمرين:

١ - أنَّ موضوع ﴿ السَّابِقُون ﴾ مجمل غير مبيَّن، حيث قد تقدم اختلاف المفسرين في المراد بهم من هم؟ أو هو مبيَّن ولكنَّه خاص بطائفة منهم، لا أنَّه لكل الصحابة.

٢ - أن الأنصار لا يمثّلون كلّ الصحابة، فثبوت تعلق الرضا بهؤلاء أو بجميعهم لا يوافق مدَّعى الكاتب من عدالة كل الصحابة - مهاجرةً وأنصاراً - كما لا يخفى، خاصة مع وصف المهاجرين بأنَّهم الأولون، وأوَّل من أسلم هو علي بن أبي طالب عليه السلام.

فإنَّ العرب تستعمل في كلامها لفظ الجمع وتريد به شخصاً واحداً.

وقد وردت بعض الروايات المفسرة للآية - موضع البحث - بأفراد معينين، وهذا واضح.

خامساً: يمكن النقض على المستدل بالآية على عموم الرضا لكل الصحابة، وهو هذا الكاتب وأمثاله:

بأنَّ هذه الآية مع تحديد السابقين في الهجرة بما

بين البيعتين، أو ما كان قبل معركة بدر؛ بعدم شمولها للمهاجرين في السنة السابعة وما بعدها، إذ إنَّ بيعة الرضوان كانت في السنة السادسة من الهجرة، وكذا مِن الأنصار مَنْ تأخرت نصرته للنبي صلى الله عليه وآله عمَّن كانوا أوَّل قدوم النبي المدينة، فإنَّهم ليسوا من السابقين في النصرة، فلا تكون شاملة لكل الصحابة[1].

سادساً: ليس من الممكن أن تدل الآية على عدالة كل الصحابة؛ وذلك لكون الآية في سورة التوبة، وهي مدنيَّة بعد ظهور الإسلام وعلوِّ شأنه، ولذا اشتملت هذه السورة على فضح الكثير من أعمال المنافقين حتى كان البعض منهم كلَّما رأى حذيفة يسأله: هل نزل فيَّ شيءٌ خوفاً من فضحهم[2]، ولذا فمن أسمائها الفاضحة.

---

١ وقد سبق أن قلنا بأنَّ نقض الموجبة الكليَّة يكفي فيه ورود السالبة الجزئيَّة.

٢ بل حتى المبلِّغ لها أولاً - وكان أبو بكر - لمَّا أن أرسل النبي صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين عليه السلام ليأخذها منه، ويبلغها أهل مكة سأله أبو بكر: أأمير أو مأمور؟ قال: بل مأمور من النبي صلى الله عليه وآله، فرجع أبو بكر إلى النبي صلى الله عليه وآله وهو يبكي ويقول: أنزل فيَّ شيء يا رسول الله؟ قال: لا يُبَلِّغ عن الله إلا أنا أو رجل مني. أقول: فهل بعد بيان هذه المنزلة والتفضيل لعلي عليه السلام بيانٌ؟ فما لكم كيف تحكمون؟؟

فيا ترى: هل يمكن الالتزام ببقاء الرضا عنهم من قِبَل الله حتى بعد ذلك، ولو فعلوا ما فعلوا من مخالفات شرعيَّة في حياة النبي صلى الله عليه وآله أو بعد وفاته صلى الله عليه وآله؟

هذا ما لا يمكن الالتزام به من أي عاقل فضلاً عن عالم، وقد سبق منَّا ذكر بعض الأمور التي جرت بين الصحابة أنفسهم، أو بينهم وبين النبي.

ومن أهم ما جرى بينهم وبين النبي فيما بعد هذه الآيات حادثة الدواة والكتف، وحادثة تنفيذ جيش أسامة، بل أعظمها على القلب، وهو محاولة اغتيال النبي في قضيَّة دحرجة الدِّباب.

فأمَّا الحادثة الثانية: فقد رواها لنا البخاري فقال: بعث رسول الله بعثاً وأمّر عليهم أسامة بن زيد فطعن بعض الناس في إمرته! فقام رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: إن كنتم تطعنون في إمرته فقد طعنتم في إمرة أبيه من قبل، وأَيْمُ الله إن كان لخليقاً للإمارة، وإن كان لمن أحب الناس إليَّ، وإنَّ هذا لمن أحب الناس إلي بعده[١].

---

١ صحيح البخاري: ٦ / ٢٤٤٤ برقم ٦٢٥٢، صحيح مسلم: ٤ / ١٨٨٤، الطبقات: ٢ / ١٨٩.

وأمّا الحادثة الأولى: فقد حدَّث البخاري بها كذلك، فلنستمع له يحدثنا بها كما رويت له: (لمّا اشتدَّ بالنبي صلى اللّه عليه وآله وجعه قال: «ائتوني بكتاب أكتبُ لكم كتاباً لا تضلوا بعده»، قال عمر: إنَّ النبي صلى اللّه عليه وآله غلبه الوجع، وعندنا كتاب اللّه حسبنا، فاختلفوا وكثر اللغط! قال: «قوموا عني، ولا ينبغي عندي التنازع»، فخرج ابن عباس يقول: الرزية... كل الرزية ما حال بين رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وبين كتابه[1].

وحدَّث بها مسلم في صحيحه هكذا: اشتدَّ به صلى اللّه عليه وآله وجعه فقال: ائتوني بدواة وصحيفة أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً، فتنازعوا.

فقال بعضهم: إن رسول اللّه يهجر[2] استعيدوه...[3].

وفي رواية ثالثة: قال عمر: إنَّ النبي صلى اللّه

---

١ صحيح البخاري: ١ / ٥٤ برقم ١١٤.

٢ يهجر من الهجر أي الهذيان، وذلك بسبب شدة المرض، فيقول ما لا يدرك.

٣ صحيح مسلم: ٣ / ١٢٥٩، ويظهر منها أنَّ مسلم أكثر تحاشياً عن ذكر ذاك القائل من البخاري حيث حرَّف الرواية هنا فقال: قال بعضهم...

عليه وآله قد غلبه الوجع، وعندكم القرآن وحسبنا كتاب اللّه، مَنْ لفلانة وفلانة؟ - يعني مدائن الروم، إن النبي صلى اللّه عليه وآله ليس بميّت حتى يفتحها، ولو مات لانتظرناه كما انتظرت بنو إسرائيل موسى)[١].

فلغطوا واختصموا، فمنهم من يقول ما قال عمر[٢]، ومنهم من يقول: قرِّبُوا يكتب لكم رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله كتاباً لن تضلُّوا بعده أبداً.

فلما أكثروا اللغط وغمُّوا رسولَ اللّه قال: «قوموا عني»[٣].

فهذه نماذج ممَّا جرى مع النبي صلى اللّه عليه وآله من الصحابة، بل من كبرائهم، بل من السابقين - عندكم - الأوَّلين من المهاجرين، كل هذا في أواخر أيَّام حياته، فكيف بما بعد وفاته من أمور وحوادث نصفح عنها تنزهاً، وحفاظاً على القارئ المحترم عن الملالة، وإعادة ذكر ما هو من المسلَّمات في التاريخ والحديث، ممَّا جرى منهم على ابنة نبيِّهم الزهراء البتول، وزوج ابن

---

١ إمتاع الأسماع للمقريزي: ٥٤٦.

٢ صحيح البخاري: كتاب العلم: ١ / ٥٤.

٣ صحيح مسلم: ٣ / ١٢٥٩.

عمِّ الرسول عليها السلام[1].

والخلاصة أنَّنا لا ننكر فضلاً للصحابة أثبته اللّه لهم، ولكن ليس لكل من يدَّعي أنَّه من الصحابة مثل ذلك الفضل، بل للبعض منهم فقط، بل إنَّ بعضهم ممَّن أساء للنبي صلى اللّه عليه وآله، فهل نعدُّ إساءته فضلاً؟

وأخيراً: لا يفتأ هذا الكاتب يفهم الأشياء فهماً معكوساً على أثر عدم معرفته بمصطلحات العلوم كالمنطق وأصول الفقه، وحتى مداليل اللغة: فهو يقول: (انظر إلى العموم في قوله تعالى: ﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ ﴾، ولا نعلم أي عموم فيه!

ويقول: ﴿ مِنَ الْمُهاجِرِينَ وَالأَنْصارِ ﴾ نعم الذين هاجروا مع النبي والذين نصروه هم السابقون...)؟!!

عجباً، كيف يعكس المعنى؟ فالآية تُخصص الرضا بمن سبقت منه الهجرة، وبمن سبقت منه النصرة، وهذا يقول كل مَنْ تحققت منه الهجرة، وكل من تحققت منه

---

١ ولقد كتب العلماء كثيراً في هذه الواقعة بما يثبت صدورها عنهم بعد موت النبي مباشرةً ؛ فارجع لكتاب تشييد المطاعن للسيد ناصر حسين، وكتاب الهجوم على بيت فاطمة، وكتاب المحسن بن فاطمة، وكتاب أين الإنصاف؟ وكتاب محنة فاطمة، وغيرها من الكتب والمؤلّفات.

النصرة فهو مشمول بالحكم بالرضا.

فانظرْ للفرق بين المعنيين !! وانع - أيُّها القارئ - على هذا الكاتب فهمه للعبارة العربيَّة.

الموقف الخامس: ما يتعلّق بغزوة تبوك

إن من مميزات سورة التوبة أنَّها من آخر ما نزل على النبي من السور؛ فقد كانت في السنة التاسعة من الهجرة، وكان أكثرها لفضح المنافقين ومرضى القلوب، وكانت غزوة تبوك بخروج النبي صلى اللّه عليه وآله من المدينة لمحاربة الروم، وللثأر لجعفر بن أبي طالب ومن مات معه من المؤمنين في معركة مؤتة، وكان عدد مَن معه ثلاثين ألف رجل، منهم عشرة آلاف فارس، ولكن انفصل - في موضع خارج المدينة – عبد اللّه بن أبي بمجموعة من الجيش يقدر بالثلث، وصاروا يُثبِّطون الخارجين مع النبي صلى اللّه عليه وآله عن الخروج معه.

ثمَّ إنَّ الآيات التي وردت في حق هذه الغزوة يمكن تقسيمها إلى أربعة أقسام:

الأول: ما يشير لتثاقل الناس عن الخروج للجهاد بعد ثرائهم واشتغالهم بأموالهم وأعمالهم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ

انفِرُوا فِي سَبِيلِ الله اثَّاقَلْتُم إلى الأَرْضَ أَرَضِيتُم بالحَيَاةِ الدُّنيَا مِن الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الحياةِ الدُّنيَا فِي الآخِرَةِ إلاَّ قَلِيلٌ * إلاَّ تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُم عَذَاباً أَلِيماً وَيستَبْدِلْ قوْماً غَيْرَكُم وَلاَ تَضُرُّوه شَيئاً وَاللَّه على كُلِّ شيءٍ قَدِيرٌ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ عَرَضاً قَرِيباً وَسَفَراً قَاصداً لاَتَّبَعُوكَ وَلَكِن بَعُدَت عليهم الشقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ باللَّه لَو استَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُم يُهلِكُونَ أَنْفُسَهم وَاللَّه يَعْلَمُ إنَّهم لَكَاذِبُون ﴾[2].

ففي هذه الآيات عتاب شديد من اللّه عزَّ وجلَّ للصحابة على عدم نفرهم لمَّا استنفرهم الرسول صلى اللّه عليه وآله، وتعييرٌ مع تبيين لواقع حالهم بأنَّهم قد رضوا بالحياة الدنيا وبِلَذَّاتِها، وفضَّلوا ذلك على نعيم الآخرة وجنَّاتها.

ثمَّ تهديد ووعيد شديد اللهجة منه تعالى لهم بأنَّه إن لم تنفروا ينزل عليكم العذاب الأليم، ولا تكونوا مستحقين لصحبة مثل هذا النبي العظيم فيستبدل قوماً غيركم، وليس في ذلك أدنى ضرر عليه.

فيا ترى: هل أنَّ هذا العتاب والتهديد منه تعالى

---

١ التوبة: ٣٨ – ٣٩.

٢ التوبة: ٤٢.

كان للصحابة أم كان للكفار أو للمنافقين؟؟

ولمزيد تأكيد واقع حالهم يبين حقيقة نواياهم بأَنَّ همَّتهم قد ضعفت وصارت إلى درجة أنَّهم يستحبون السفر القريب و المغنم الواضح المقصود، وأمَّا مع بُعدُ الشُّقَّة عليهم فيتطلبون المعذرة منك لعدم استطاعتهم ذلك، بل يُقسِمُونَ على هذا، مع علم الله بكذبهم.

الثاني: ما يتعلَّق بالمقابلة بين ما يجب على المسلمين والمؤمنين عمله لأجل التهيؤ للجهاد، وما صدَرَ منهم في الخارج: قوله تعالى: ﴿انفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ * رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾[2].

فهذه الآيات تبين ما كان مفترضاً أن يقوم به المسلمون من النفر للجهاد وبذل الغالي والنفيس من

---

١ التوبة: ٤١.

٢ التوبة: ٨٦ – ٨٧.

المال والنفس والولد.

ولكنَّ الأمر المؤسف ما عبَّرت عنه الآية الثانية من تثاقلهم واعتذارهم بطريقة شبه مؤدبة؛ وهي الاستئذان منك في عدم الخروج، فنزل القرآن مُبَكِّتاً لهم، وذامَّاً لفعلهم، بعدم الفقه لأمر هذا الدين، وأهميَّة الجهاد في سبيله.

فيا ترى - أيها الكاتب المحترم - هل أنَّ هؤلاء من الصحابة أم من غيرهم؟ ألا بربِّك قل لي.

الثالث: ما يتعلق بأمر المنافقين وهو آيات كثيرة نذكر منها:

قوله تعالى: ﴿وَمِنْهم الذِّينَ يُؤذُونَ النبي وَيقُولُونَ هوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُم يُؤمِنُ باللَّه وَيُؤمِنُ لِلمُؤمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلذِّينَ آمَنُوا مِنكُم وَالذِّينَ يؤذُونَ رَسولَ الله لَهم عَذابٌ أَلِيم﴾[1].

وقال تعالى: ﴿يَحْذَرُ المُنَافِقُونَ أَنْ تَنْزُلَ عليهم سُورَةٌ تُنَبِّئهم بِمَا في قلُوبِهم قل استَهزِؤا إنَّ الله مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ * وَلَئِن سَأَلْتَهم لَيَقُولُنَّ إنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّه وَآيَاتِه وَرَسُولِه كُنْتُم تَسْتَهزِؤن *

١ التوبة: ٦١

لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ فَإِن يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾[2].

ففي هذه الآيات صفات للمنافقين ممَّن صحَّت منه الصحبة للنبي، ولو لفترةٍ ما، وآمن به وروي عنه، ثمَّ صدر منهم النفاق، ولكنَّ كل ذلك لم يمنع اللّه عزَّ وجلَّ من أن يُنزِل فيهم قرآناً يُتلَى، فضحاً لهم وتعريضاً بمواقفهم الخاذلة للنبي[3].

وكل ما يشكِل به هذا الكاتب علينا فهو إشكال

---

١ التوبة: ٦٤ – ٦٦.

٢ التوبة: ٧٤.

٣ أقول: إذا كان القرآن نفسه يقوم بفضح بعض المنافقين ومرضى القلوب، ويعرف النبي بهم والنبي يعرف الناس بهم، ولو بالوصف دون الإسم، فلا بدَّ وأن يكون ذلك لغرض سَام، وغاية قصوى يريدها القرآن من ذلك، ونحن نقتفي بالقرآنً في هذا الأمر ونتبع سنَّة الرسول.

على كتاب اللّه وسنَّة رسوله، إلا أن ينكر وجود مثل هذه الآيات في القرآن، أو ينكر وجود كل سورة التوبة - الفاضحة - في القرآن، أو وجود الروايات في الصحاح والسنن، وحينئذٍ فلا كلام لنا معه!!

هذا مع سبق بيعتهم للنبي وعهدهم له بعدم الخذلان وبالنصرة له في كل المواقع، فنقضوا العهد وخالفوا ما بايعوا النبي عليه.

وأمَّا الآية الثانية: فقد قيل بأنَّها نزلت في الجلاَس بن سويد بن الصامت بن خالد الأوسي، وقيل في عبد اللّه بن أبي، وقيل في أهل العقبة[1].

فإنَّه صلى اللّه عليه وآله لمَّا كان في غزوة تبوك قال الجُلاَس ابن سويد: واللّه لئن كان ما يقول محمدٌ حقاً لإخواننا الذين خلَّفناهم، وهم ساداتنا وأشرافنا فنحن شرٌّ من الحمير.

فنقل ذلك الكلام إلى رسول اللّه ربيبُه عامر أو عمير ابن قيس الأنصاري فاستدعاه الرسول صلى اللّه عليه وآله فأنكر، فرفع عامر يديه نحو السماء وقال: «اللهم أنزل آية في تكذيب الكاذب وتصديق الصادق

---

١ مجمع البيان: ٦ / ٩٠.

منًا»، فنزلت هذه الآية، فتاب عندئذٍ الجُلاس وحسنت توبته وإسلامه.

وأمَّا القول بنزولها في أهل العقبة، ففيها إشارة لما اتفقوا عليه من الهمِّ بقتل النبي ودحرجة الدباب عليه أو قطع زمام ناقته حتى تسقط به في الوادي، وذلك عند مرجعه من تبوك[1]:

تواثق خمسة عشر رجلاً أن يدفعوه عن راحلته إلى الوادي إذا تسنّم العقبة بالليل، فأخذ عمَّار بن ياسر بخطام راحلته يقودها وحذيفة يسوقها[2]، فبينما هم

---

١ تفسير الكشاف: ٢ / ٢٩١، وفي هامشه كتب ابن حجر العسقلاني: أخرجه أحمد من حديث أبي الطفيل قال: «لما قفل رسول الله صلى الله عليه وآله من غزوة تبوك..وساق الحديث» وذكر في ذيل الحديث: لمَّا كان بعد ذلك وقع بين عمَّار ورجل منهم شيء ممَّا يكون بين الناس، فقال: أنشدكم الله كم أصحاب العقبة الذين أرادوا أن يمكروا برسول اللّه؟ فقال: ترى أنَّهم أربعة عشر، فإن كنتَ فيهم فهم خمسة عشر. ومن هذا الوجه رواه الطبراني والبزار وقال: روي من طرقٍ عن حذيفة، وهذا أحسنها وأصلحها إسناداً، ورواه ابن إسحاق في المغازي، ومن طريقه البيهقي في الدلائل عن الأعمش عن عمرو بن مرَّة عن أبي البختري عن حذيفة بن اليمان – وساق الحديث إلا أنَّه قال: اثنى عشر رجلاً فانتهت إلى رسول اللّه فصرخ في وجههم فولوا مدبرين.

٢ وفي بعض الروايات الأخر بالعكس.

كذلك إذ سمع حذيفة بوقع أخفاف الإبل وبقعقعة السلاح، فالتفت فإذا قوم متلثمون، فقال: إليكم إليكم يا أعداء الله فهربوا[1].

وفي رواية: أنَّ أسيد بن حضير سأل الرسول صلى الله عليه وآله عن سبب تخلفه عن القوم ومشيه في الليل عبر العقبة، فقال: «أتدري ما أراد المنافقون البارحة؟».

قال: وماذا أرادوا؟

قال: أرادوا أن يقطعوا أنساع راحلتي وينخسوها حتى يطرحوني من راحلتي.

فقال له: عيِّنهم فيقتلهم أهل عشيرتهم، وإن شئت عيِّنهم لي فلا تبرح حتى آتيك برؤوسهم.

فقال رسول الله: «إني أكره أن يقول الناس إنَّ محمداً لمَّا انقضت الحرب بينه وبين المشركين وضع يده في قتل أصحابه»[2].

وليس غائباً عنك ما رواه مسلم بسنده عن حذيفة

---

١ راجع لمعرفة تفاصيل هذا: سنن البيهقي: ٩ / ٣٣، وقيل بأنَّه أحسنها وأصلحها سنداً، البداية والنهاية: ٣ / ٣٢٧، زاد المعاد: ٣ / ٥٤٥، أنساب الأشراف: ص ٢٣٦، مغازي الواقدي: ٣ / ١٠٤٢، تفسير ابن كثير: ٢ / ٦٠٤.

٢ إمتاع الأسماع: ٤٧٨ – ٤٧٩.

عن النبي صلى اللّه عليه وآله أنَّه قال: «في أصحابي إثنا عشر منافقاً، فيهم ثمانية لا يدخلون الجنَّة حتى يلج الجمل في سَمِّ الخياط»[1].

ولا يفوتنَّك قول النبي صلى اللّه عليه وآله (في أصحابي)، وكذا قوله (قتل أصحابه) في الرواية السابقة.

الرابع: ما يتعلّق بمدح أمير المؤمنين والمؤمنين معه، وكذا ما يتعلّق باستقبال الوفود: قوله تعالى: ﴿لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[2].

ممَّا لا شك ولا ريب فيه لدى كل متتبع لمواطن نزول الآيات القرآنية، وهو ممَّا لابدَّ وأن يحصل به القطع: أنَّه لا توجد آية مدحٍ في القرآن إلا وعليٌّ على رأس الممدوحين فيها.

وقيل بأنَّ موارد مدحه عليه السلام بلغت ثلاثمائة آية[3]، بل نُسِب إلى أحمد بن حنبل أنَّه قال: لم يصلنا من

---

١ صحيح مسلم: ٤ / ٢١٤٣ كتاب صفات المنافقين، سنن البيهقي: ٨ / ١٩٨، مسند أحمد: ٥ / ٣٩٠ وغيرها من المصادر.

٢ التوبة: ٨٨.

٣ تفسير الحبري: للحسين بن الحكم الوشاء (ت٢٨١هـ) ط بيروت ١٤٠٨هـ. ص١٦٢ - ١٦٣ وانظر الحديث الثالث ص٢٣٤ وتخريجاته (ص٣٨٣).

روايات الفضائل في أحد من الصحابة ما وصلنا في علي بن أبي طالب عليه السلام[1].

إن قلت: من المعروف تاريخياً أنَّ أمير المؤمنين لم يكن مع النبي في هذه الغزوة، بل بقي في المدينة، فكيف يكون مشمولاً بها؟

قلتُ: إنَّ المدح في الآية لمن كان مع النبي، وليس المقصود خصوص المعيَّة البدنيَّة، وإلا فقد كان معه الكثير من المنافقين، ولا يمكن أن تكون الآية شاملة لهم بالمدح، بل يمكن لنا دعوى عدم إرادة المعيَّة البدنيَّة أصلاً، وأنَّ المراد من كان معه على الحقِّ وعلى الدعوة للّه عزَّ وجلَّ، ولهذا الدين.

ولا شكَّ أنَّ أمير المؤمنين هو أوَّل من كان معه على هذه الدعوة، فهل تتعقل أن تخرجه عن دلالتها وتدخل الأباعد والمتأخرين في هذه الدعوة؟ وإنما أبقاه النبي صلى اللّه عليه وآله في المدينة محافظاً عليها عن انقلاب المنافقين وإفسادهم، حيث تخلف فيها الكثير منهم والمتربِّصون بهذا الدين الدوائر، وأي جهاد أعظم من هذا؟ مع عدم حبِّه عليه السلام للتخلّف، لفرط رغبته

---

١ المستدرك للحاكم النيسابوري: باب أوّل فضائل أمير المؤمنين عليه السلام.

في مصاحبة الرسول صلى الله عليه وآله في كل غزواته، بل كان متعطّشاً للذهاب معه، ولكنَّ طاعته الكبيرة للرسول جعلته يمتثل أمر النبي بالبقاء، بل كان اختياره البقاء أحد فردي التخيير بينه وبين خروجه وبقاء النبي في المدينة - كما دلَّت عليه الروايات ـ، ولذا لم يرد عندنا ولا عند العامَّة أن خرج عليٌّ عليه السلام في جيش أو غزوة أو سريَّة مأموراً، بل كان فيها كلِّها هو الأمير، ولذا كان من ألقابه أمير المؤمنين سلام الله عليه.

وهاك بعض الشواهد على مدائح عليٍّ عليه السلام:

أحدها: لمّا عزم الرسول صلى الله عليه وآله على الخروج لغزوة تبوك قال لأمير المؤمنين: إمَّا أن تخرج وأبقى في المدينة، وإمّا أن تبقى وأخرج، فإنَّ المدينة لا تصلح إلا بي أو بك[١].

فقبل عليٌّ بأن يبقى في المدينة، ولكن لمَّا شارف الرسول على الخروج بالجيش تكلَّم المنافقون في عليٍّ وقالوا: (لو كانت له في ابن عمه حاجةٌ لأخرجه معه)! فتأثر أمير المؤمنين لذلك)[٢] وأخبر النبي بما قالوا، فقال له: «أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من

---

١ ميزان الاعتدال: ١ / ٥٦١، مناقب ابن المغازلي: ص ٣٢.
٢ لعلَّ هذا من كلام الراوي.

موسى إلاّ أنه لا نبيَّ بعدي»[1].

ثانيها: لمَّا قدم وفد ثقيف على رسول اللّه في شهر رمضان، سألوه أن يدع اللات لهم مدَّة ثلاث سنين لا يهدمها، فأبى عليهم ذلك، وقال لهم النبي: لتسلمنَّ أو لأبعثنَّ إليكم رجلاً مني أو كنفسي، فليضربنَّ أعناقكم، وليأخذنَّ أموالكم، وليسبينَّ ذراريكم.

فقال عمر: فجعلتُ أنصب صدري وأقوم على أطراف أصابعي؛ رجاء أن يقول: هو هذا، فالتفتَ إلى عليٍّ فأخذ بيده وقال: هو هذا، هو هذا[2].

ثالثها: حادثة تبليغ سورة براءة، وقد مرَّ منَّا ذكرها، وفيها أنَّ الرسول صلى اللّه عليه وآله قال لأبي بكر: «..أمِرتُ أن أبلغها أنا أو رجل من أهل بيتي[3] أو

---

1 صحيح البخاري: ٥ / ٢٤، صحيح مسلم: ١٥ / ١٧٣، المستدرك على الصحيحين: ٢ / ٣٣٧، مسند أحمد: ١ / ١٧٧ - ١٧٩ - ١٨٢ - ١٨٤، ٣ / ٣٢ وما بعدها، الخصائص للنسائي: ص ٨٢، وغيرها من المصادر الكثيرة جداً، بل قيل بتواتره، وهو قوي، لكثرة رواته وتعدد طرقه وطبقاته بما يؤمن منهم التواطؤ على الكذب.

2 مجمع الزوائد: ٦ / ١٦٣، مناقب ابن المغازلي: ص ٤٢٨.

3 تفسير ابن كثير: ٢ / ٥٤٣، الخصائص للنسائي: ٩١، تفسير الكشاف: ٢ / ٢٤٣، مسند أحمد: ٢ / ١، ٤ / ١٦٤، ١١ / ١٥١، المستدرك للحاكم: ٣ / ٥١، كنز العمال: ١ / ٢٤٦، ٦ /

مني»[1].

رابعها: وفد نصارى نجران، وقصة المباهلة المعروفة المشهورة؛ بل المدعى تواترها: حيث إنَّهم بعد أن وفدوا على النبي صلى الله عليه وآله تدارسوا أمر المسيح، فردَّ دعواهم وكلَّف الرسول صلى الله عليه وآله بمباهلتهم إن أصرُّوا على ذلك، وطلبوا المباهلة، وفي يوم المباهلة جاء الرسول، وفي إحدى يديه الحسن، وفي الأخرى الحسين، وتتبعه فاطمة، وأمير المؤمنين: بين يديه أو خلفهما، فلمَّا رأوا ذلك خافوا وقالوا: لا نباهلك، ولكن ندفع الجزية، فكتب عليّ ذلك الصلح بينهما.

فيا ترى: لم لم يباهل الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بأصحابه؛ وهم هم - كما تراهم - ألا يوجبون استجابة دعائه؟

ألم يكن الرسول واثقاً في أصحابه تمام الثقة؟

ولمَ لم يعترض الصحابة عليه - كما اعترض بعضهم في موارد أخرى - على أخذ الحسنين والزهراء

١٥٣، تاريخ أبي زرعة: ص ٢٩٨، والكثير من المصادر غيرها.

١ راجع كلمات المفسرين حول سبب نزول الآية فستجد المزيد من هذه العبارات من تفسير سورة براءة، وكذا راجع تفسير الحبري:.

وأمير المؤمنين عليهم السلام؟

ألم تفكر في كل هذا أيُّها الكاتب القدير؟

ولمَ لم تشر في كتابك إلى مثل هذه الوفود، وما جرى بينها وبين النبي صلى اللّه عليه وآله؟

ألم يكن خوفاً من أن تُلزَم بالتعرض لمثل هذه المقامات الثابتة لأمير المؤمنين عليه السلام؟

خامسها: بعْثُ النبي صلى اللّه عليه وآله إلى اليمن: فقد بعث بعثين.

أحدهما - وهو أولهما - بعث خالد بن الوليد وبقي فيهم ستة أشهر ولم يسلموا.

ثمَّ بعث أمير المؤمنين عليه السلام إليهم فلمَّا وصلهم وقرأ عليهم كتاب الرسول صلى اللّه عليه وآله أسلمت همدان جميعاً في يوم واحد، فأرسل للنبي بذلك، فسجد صلى اللّه عليه وآله شكراً للّه، وكان أن اصطفى لهجارية منهم،فأرسلخالد مع بريدة رسالة للنبي صلى اللّه عليه وآله يخبره بذلك، فغضب النبي صلى اللّه عليه وآله لذلك وقال: «لا تقع في علي فإنَّه مني وأنا منه وهو وليُّكم بعدي»[1].

---

١ السيرة النبويَّة لابن كثير: ٤ / ٢٠٣ نقلاً عن السنن الكبرى للبيهقي: ٢ / ٣٦٩، الكامل لابن الأثير: ٢ / ٣٠٠، تاريخ

أليس في هذا كفاية لمن ألقى السمع وهو شهيد؟

وبعد كل هذه المواقف والمقاطع السريعة مع هذا الكاتب نراه يعود ويكتب آيات كريمة أخرى من القرآن، فمنها: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَه أَشِدَّاء على الكفارِ رُحَمَاءُ بيْنَهم تَرَاهم رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنْ الله وَرِضْوَاناً سِيمَاهم فِي وُجُوههم مِن أَثَرِ السُّجُود ذَلِكَ مَثَلُهم فِي التَوْرَاةِ وَمَثَلُهم فِي الإنْجيل﴾[1].

ومنها: ﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُقَدِّموا بَيْنَ يدَي الله وَرَسولِه وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَرْفَعُوا أَصوَاتَكُم فَوْقَ صوْتِ النَّبي﴾[2].

ومنها: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤمِنُونَ حتى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بينَهم ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمَاً﴾[3].

فهذه الآيات تعطي خلاف ما يرومه هذا الكاتب، فمدَّعاه هو عدالة كل الصحابة، وشدة إخلاصهم وإيمانهم بالنبي صلى الله عليه وآله.

الطبري: ٣ / ١٣٢.

١ الفتح: ٢٩.

٢ الحجرات: ١ – ٢.

٣ النساء: ٦٥.

ولكنَّ الآيـة الأولى هنا - مثلاً - غاية ما تفيده هو تحقق هذا الوصف لجماعة خاصة، وهم خصوص الذين معه، وقد سبق منَّا القول بأنَّه لا يمكن الالتزام بأنَّهم جميع مَن يكونون معه بأبدانهم، وإلا فالكثير ممَّن كان معه بأبدانهم كانوا ممَّن نزلت فيهم آيات المنافقين.

بل المراد بالآيـة الذين معه على هذا الأمر الجامع، وهو الدين الخالص الذي يدعو له مرسَلاً به عن ربِّه، علاوة على أنَّا لا نمنع ثبوت مثل هذه الصفات لبعض الصحابة بل لكثير منهم، ولكنَّ هذا الكثير يقابله من لم يكونوا كذلك.

وأمَّا في الآيـة الثانية فهي تنهى عن التقدم - في الأمر والنهي - على النبي صلى اللّه عليه وآله، أو التقدم في الأفعال أو الإقصار عنه صلى اللّه عليه وآله، ونقول: ينبغي لكم أيها الصحابة أن تسيروا على طبق أوامره ونواهيه: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾[1] دون تقدم عليها أو تثاقل ولا تأخر عن أدائها.

ولكنَّ - أخي القارئ - إليك مثالاً من واقع حياة

---

١ الحشر: ٧.

الصحابة مع النبي صلى الله عليه وآله تبين لك كيفية امتثالهم لمفاد الآية:

وهو ما قدَّمنا ذكره من حديث صلح الحديبيَّة، لمَّا جرى الصلح وأراد النبي الإحلال من إحرامه حيث صدَّ عن دخول البيت فأمر أصحابه بالحلق والذبح امتنعوا، وجرى بينهم ما جرى حتى دخل على أم سلمة وشكى لها قومه، فأشارت عليه بالخروج والحلق والذبح دون اعتبار بهم ففعل فقاموا وفعلوا كذلك، وقد مرَّ تخريج مصدرها[١].

وكذا ما ورد عن عائشة لمّا أمر الناس بالإحلال بالعمرة تعاظم ذلك عندهم[٢] وفشت في ذلك القالة[٣]، فقالوا: ننطلق إلى منى وذَكَرُ أَحَدِنَا يَقْطُرُ مَنِيّاً[٤]، فبلغ

---

١ علاوة على المصادر السابقة ؛ راجع تاريخ الطبري ٢ / ١٢٢ حوادث سنة ٦ هـ، البداية والنهاية: ٤ / ١٣٦ حوادث سنة ٦هـ.

٢ هذا اللفظ لمسلم: ٢ / ٩٠٩.

٣ هذا اللفظ للبخاري: كتاب الاشتراك في الهدي: ٢ / ٨٨٥.

٤ صحيح البخاري: كتاب التمني: ٦ / ٢٦٤١، وقد ذكر في مقدمة مرآة العقول أنَّ القائل بهذه الكلمة «ننطلق إلى منى وذكر...» هو عمر بن الخطاب وقد أجابه النبي صلى اللّه عليه وآله بقوله: «إنَّك لن تؤمن بها حتى تموت..» والشاهد على هذا أنَّه لمَّا صار خليفة نهى المسلمين عن أمور ومنها متعتا الحج

ذلك النبي صلى الله عليه وآله فقام خطيباً فقال: «بلغني أنّ أقواماً يقولون كذا وكذا، والله لأنا أبرُّ وأتقى لله منهم»، قالت عائشة: دخل النبي عليَّ وهو غضبان، فقلتُ: من أغضبك يا رسول الله؛ أدخله الله النار.

قال: «أو ما شَعَرْتِ أني أمرتُ الناس بأمر فإذا هم يترددون»[١].

وأمّا في الآية الثالثة فاستمع لما ذكره المفسرون:

قال بعضهم: لمّا نزلت هذه الآية قال أبو بكر: يا رسول الله؛ والله لا أكلمك إلا السِّرار أو أخا السِّرار حتى ألقى الله، وعن عمر أنَّه كان يكلم النبي صلى الله عليه وآله كأخي السرار لا يسمعه حتى يستفهمه[٢].

ولكن فلنستمع لأصل القصة لنعرف منها لِمَ قالا ذلك:

فقد أخرج في الدرِّ المنثور عن البخاري وابن المنذر والطبراني عن ابن أبي مليكة قال: كاد الخيِّران أن يهلكا

والنساء ؛ ١ / ٢٢١.

١ صحيح مسلم: ٢ / ٨٧٩.

٢ تفسير الكشاف: ٤ / ٣٥٢ أما حديث أبي بكر فقد ذكره الواحدي عن عطاء عن ابن عباس، وأما حديث عمر فقد خرجه البخاري من حديث أبي الزبير.

أبو بكر وعمر: رفعا أصواتهما عند النبي صلى الله عليه وآله حين قدم عليه ركب بني تميم، فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس[١] وأشار الآخر برجل آخر[٢].

فقال أبو بكر لعمر: ما أردتَ إلا خلافي!

قال: ما أردتُ خلافك.

فارتفعت أصواتهما في ذلك، فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَرْفَعُوا أَصوَاتَكُم...﴾، قال ابن الزبير: فما كان عمر يُسمع رسول الله بعد هذه الآية حتى يستفهمه)[٣].

وحينما نأتي بمثل هذه الشواهد ليس غرضنا خصوص الشخص المعيَّن، بل بما أنَّه أحد الصحابة، فتنتقض القضية الكليَّة التي يدَّعيها الكاتب من الحكم بعدالة كل الصحابة، وعدم جواز نقدهم.

وإن كان يغلب في الظن أنه لا غرض له في كل الصحابة، ولكنَّه الطريق الوحيد لتعديل جماعة السقيفة على أقل التقديرات، وصبغهم بهالة قدسيَّة تمنع من

---

١ وفي رواية أن المشير به هو عمر بن الخطاب.

٢ وهو أبو بكر فقد أشار بالقعقاع بن معبد بن زرارة.

٣ الدر المنثور: ٦ / ٨٤، صحيح البخاري: ٣ / ١٩٠ - ١٩١ تفسير الحجرات، وفي طبعة أخرى ٤ / ١٥٨٧ - ١٨٣٣، سنن النسائي: ٨ / ٢٢٦.

التفوّه عليهم ولو ببنت شفة.

الموقف السادس: وهو ما يتعلّق بغزوة حنين:

ولعل الكاتب لم يذكره لوضوح الفضيحة فيه، إذ نزل فيه قرآن يتلى، فكيف يواري سوأة مَن يمسَّهم مِن الصحابة عن ذلك، فليس من طريقة إلا إغفال الذِكْرِ لعلَّ القارئ يغفل أيضاً عن ذلك.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ * ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾[1].

فقد كان جيش الرسول صلى الله عليه وآله لحرب قبيلة هوازن اثنا عشر ألفاً، منهم عشرة آلاف الذين اشتركوا في فتح مكَّة، وألفان ممَّن أسلم في مكَّة، وقد عجبوا، بل اتكلوا على كثرتهم، فقال بعضهم: (لا نؤتَي من قِلَّة) فكره ذلك رسول اللّه منهم، وقد اختبأت هوازن في الوادي، ثمَّ لما خرجوا على المسلمين انهزم

١ التوبة: ٢٥ – ٢٦.

المسلمون ووَلَّوْا الدبر، حتى لم يبقَ مع الرسول إلا عشرة وقيل تسعة: علي بن أبي طالب والعباس عم النبي - وهو المنادي في الفارِّين: يا أهل بيعة الشجرة... يا أهل سورة البقرة... - وأبو سفيان بن الحارث ونوفل بن الحارث وربيعة أخوهم، وعتبة ومعتب ابنا أبي لهب والفضل بن العباس وعبد الله بن الزبير، وقيل أيمن بن أم أيمن[1].

وعن بعض مصادر الشيعة: (إنَّ الناس فروا جميعاً يوم حنين عن النبي صلى الله عليه وآله إلا سبعة: أبو سفيان وربيعة ونوفل أبناء الحارث، والعباس وابنه الفضل وأمير المؤمنين وأخوه عقيل والنبي على بغلته الدلدل...)[2].

فهل الفارُّون والمُوَلُّون الدُّبُرَ الأصحابُ أم الأغيار؟ وهل أنَّ فعلهم مساوٍ لمن ثبت مع النبي؛ ألا بربك قل لي!!؟

وفي هذه الغزوة وبعد أن انتصر على هوازن حاصر الطائف، وأمَّر علياً على كسر الأصنام، وبعد أن أدَّى

---

١ تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٦٢، أنساب الأشراف: ١ / ٣٦٥، الاستيعاب: ١ / ٨١٣، تفسير الفخر الرازي: ١٦ / ٢٢، تاريخ الطبري: ٢ / ١٦٧ حوادث سنة ٨ هـ.

٢ الأمالي للشيخ الطوسي ؛ المجلس رقم ٢٢.

مهمَّته رجع فكبَّر النبي صلى الله عليه وآله، وناجى علياً طويلاً، يقول جابر: أتاه عمر بن الخطاب فقال: أتناجيه دوننا وتخلو به؟ فقال: «يا عمر ما أنا انتجيته بل الله انتجاه»[1].

فقد علم القارئ المحترم... الآن؛ لِمَ انحرف قلم هذا الكاتب عن ذكر بعض الغزوات أو بعض الوفود القادمة على النبي، فليس ذلك إلا محاولة لإطفاء نور الله عزَّ وجلَّ ﴿يُرِيدُونَ لِيُطفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[2]، وتستراً على فضائل علي أمير المؤمنين عليه السلام والتي ملأت - مع إخفاء أوليائه خوفاً وإخفاء أعدائه حسداً - الخافقين.

---

١ سنن الترمذي باب مناقب علي، أسد الغابة لابن الأثير: ٤ / ٢٧، المعجم الكبير للطبراني: ٢ / ١٨٦، بألفاظ متقاربة وبعضها عن أبي بكر لا عمر، كما أنَّ بعضها عنهما جميعاً.

٢ الصف: ٨.

خاتمة

والذي نخرج به من هذه الدراسة عدَّة أمور:

الأوّل: إن أهل السنَّة ينقسمون في هذا الزمان، من حيث اعتبار الروايات إلى قسمين:

قسم لا يعتبر من الروايات النبويَّة - عملاً وإن لم يصرحوا به - إلا صحيحي البخاري ومسلم، وهؤلاء هم ما يسمون في هذا الزمان بالفرقة الوهابيَّة والسلفيَّة، فلا يرون المناقشة في أسانيد رواياتها.

وقسم يعتبرون بالكثير من المصادر الحديثيَّة و التاريخيَّة قوَّة أو فعلاً[1]، علاوة على الصحيحين، لو صحَّ سندها.

فأمَّا القسم الأول: فهم يرون أنَّ ما كان موجوداً في

---

١ المراد بالقوة: إمكان تصحيح الروايات الواردة في الكتب الحديثيَّة، والمراد بـ فعلاً أنَّها مصححة عندهم بالفعل.

هذين الصحيحين لا يُحتَاج إلى البحث في سنده، بل هو معتبر مطلقاً.

وأمَّا القسم الثاني: فهم يرون عدم الفرق بين الصحيحين وغيرهما من الكتب، بل كل كتاب وردت فيه روايات منسوبة للنبي وصحَّ سندها فهي ممَّا يجب العمل بها، وكل رواية ثبت ضعف سندها أو لم يثبت صحته، فهي مطروحة ولا يصح العمل بها.

ونحن - بما أنَّنا لحظنا كلا القسمين، وأردنا أن يكون الرد لهذا الكاتب شاملاً لأكبر قدر ممكن من القُرَّاء - حاولنا الجمع بين المبنيين، فنقلنا الروايات من الصحيحين ومن الكتب الأخرى، علماً بأنَّ المبنى الأول واضح الفساد جداً، ولم تصر إليه إلا شرذمة من المتأخرين المدَّعين لاتباع السلف، وأتباع ابن تيميَّة وابن حزم وابن القيم، ومن سار على خطّهم، ونشر أفكارهم ممَّن يدين بالدعوة الوهابيَّة في هذا الزمان.

فالذي نتمناه أن لا يكون هذا الكاتب من أتباعها ودعاتها، فإنَّ من ينتمي إليها، فمذهبهم عدم قبول نظر أي طرف آخر، بل يترقى لتكفير كل من يخالفهم

في الرأي فمنطقهم: أنت معنا وإلا فأنت كافر[1].

ولذا؛ فيمكن لنا القول: إنَّه في هذا الزمان ليس من موضع لمن يعيش في مثل هذه العقليَّة الضعيفة في وسط المجتمعات المسلمة المتوائمة المحبَّة لكل من نطق بالشهادتين وأحبَّ أهل البيت عليهم السلام وعمل بما أمر به الرسول صلى اللّه عليه وآله من طاعتهم حيث يأمن الناس من يده ولسانه.

الثاني: ليكن من المعلوم لهذا الشيخ الكاتب للرسالة ولغيره: أنَّ الدعوة لنقد بعض الصحابة، أو وضع أعمالهم على مائدة التشريح ليس فيه منقصة لكل الصحابة، بل حتى بالنسبة للصحابي الذي تحقق صدور الخطأ منه ثمَّ تاب عنه[2].

---

١ والشواهد على هذا كثيرة؛ فهي تبدأ من تكفير شيخهم محمد بن عبد الوهاب لكل من خالفه في الرأي حتى أخيه الشيخ سليمان، وانتهاءً بالشيخ الألباني الذي قد أيَّدوه لمدة من الزمان، ثمَّ كفَّروه، وذلك لمجرد أن ناقش في أسانيد بعض الروايات، وكذا سمعنا أنَّهم قد كفَّروا الشيخ حسن فرحان المالكي لمجرد أن قام بمناقشة بعض القضايا العقديَّة والتاريخيَّة المسلَّمة عندهم، وهكذا منصور النقيدان حديثاً، وغيرهم كثير.

٢ كما في الجُلاَس بن سويد فإنَّه أخطأ، وقال كلمة الكفر مشتبهاً، فنزل القرآن مُلَوِّماً له فتاب وحسن إسلامه.

فإنَّا لا نتحسس من أحد لشخصه وذاته مستقلةً عن أفعاله والمحيط الذي كان ينطلق منه في تصرفاته، بل إنَّ النقد أو الدراسة الفاحصة لحياة أحدهم ليست إلا لما صدر منه من أفعال مخالفة لإرادة اللّه، وللزوم الطاعة للنبي ولأولياء اللّه المأمورين بطاعتهم في الآية القرآنيَّة: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ... ﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿ وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾[2].

وكل ذلك لأجل الحفاظ على من ننقل عنه الأحاديث النبويَّة.

وهل في تطلبنا الحفاظ على ذلك غضاضة؟.

الثالث: لم يشر هذا الكاتب لما صدر عن أمير المؤمنين وأهل بيته عليهم السلام من كلمات في مدح الصحابة وصحبتهم للرسول صلى اللّه عليه وآله، سواء في نهج البلاغة أو في كلمات أخرى، وكذا ما كان في الصحيفة السجاديَّة و الروايات المتناثرة هنا وهناك، وهي معتقدنا في الصحابة الطيبين الذين أحسنوا الصحبة رضوان اللّه عليهم.

---

١ النساء: ٥٩.

٢ الحشر: ٧.

و ما مرَّ حول ما ورد من آيات تشير لمدح الصحابة، فقد قلنا هناك بأنَّ مدحها مدح جمعي، لا أنَّه مدح للجميع واحداً واحداً، ومثل هذا المدح لا نمنع منه بل نُقِرُّه.

كيف؟ ومنهم مَنْ هو مِنْ خوَاص النبي وأمير المؤمنين عليهم السلام، وقد أبلى مع الرسول صلى الله عليه وآله بلاءً حسناً، ومات على ما مات عليه رسول الله صلى الله عليه وآله، كسلمان المحمدي، والمقداد بن عمرو، وعمَّار بن ياسر، وأبي ذر الغفاري، وأمثال خبَّاب بن الأرت، وعثمان ابن حنيف وأخيه سهل بن حنيف حبيب رسول الله، والمفدي بنفسه في المغازي كلها نفس رسول الله صلى الله عليه وآله، وأبو دجانة الأنصاري، والمرقال هاشم بن عتبة، وخالد بن سعيد بن أبي عامر خامس من أسلم، وحذيفة بن اليمان، وخزيمة بن ثابت، وجابر بن عبد الله الأنصاري، وقيس بن سعد بن عبادة، وأبي أيوب الأنصاري، ومالك بن الأشتر النخعي، والبراء بن عازب، وعبادة بن الصامت، ومالك ابن نويرة.

و الكثير من الصحابة الذين وفوا بما عاهدوا الله عليه، وماتوا على ذلك، وما بدَّلوا بعد وفاته فضلاً عن حال حياته.

الرابع: لقد لاحظنا كثيراً - من هذا الكاتب ومن غيره من الكتَّاب ممَّن اتخذ اسم السنَّة شعاراً ودثاراً - أنَّهم يتشبثون من الآيات بما يوافق هواهم وآراءهم، ويقومون باستبعاد كل آيةٍ فيها إشارة أو تلميح بفضل عليٍّ عليه السلام وأهل بيته عليهم السلام، وكأنَّهم قد وقفوا أنفسهم على استمرار عمليَّة التعتيم على فضائلهم ومناقبهم، وما ورد في حقِّهم من قبَلِ النبي صلى اللّه عليه وآله، وهو ذلك العمل الشنيع الذي قام به معاوية، وجرت سنَّة الدولة الأمويَّة عليه، وكأنَّ هذه الأحاديث ليست صادرة عن النبي صلى اللّه عليه وآله، أو أنَّها لا تمُتُّ إليهم بصلة على الإطلاق، وأنَّهم ليسوا أهل بيت نبيهم صلوات اللّه عليهم أجمعين!!.

بل يحاول هذا الكاتب - مثلاً - أن يعتمد على إحياء الدعوة القديمة من مقولة: (حسبنا كتاب اللّه)، فهو يرفع شعارها هنا منادياً بترك كل الروايات والكتب المتعلقة بتفسير الآيات، والاكتفاء بالقرآن.

ويا ترى: هل القرآن - على مرَّ هذه القرون الأربعة عشر - قد حلَّ كل خلافات المسلمين؟ والتأمت كل كُلُومِهم؟ وسُدَّت كُلُّ ثغراتهم؟

بل يترقى إلى القول بأنَّ كل تلك الروايات محض

أساطير تاريخيَّة[1].

وهو أمر غريب جداً من مثله، وهبْ أنَّها أساطير فهل مرويات الصحاح أساطير أيضاً؟

سلَّمنا ذلك في غير الصحيحين، ولكن ما تقول في الصحيحين؟ فهل رواياتهم أساطير؟ أو تقول: قد دُسَّت فيهما؟ ومن الذي دسَّها، وقد طُبِعَت في مطابعكم؟

والغرض من كل هذا ليس بيان اعتبارنا لمثل هذه الكتب، وإنَّما لأجل إلزامهم بما رووه، وفيما لو كانت الروايات التي ننقلها تتحمل كلمة كفر أو وصفٍ مشينٍ لبعض الصحابة، فهو ليس منَّا، بل من رواياتهم الموجودة في كتبهم، وناقل كلمة الكفر ليس بكافر.

فالعجب أنَّهم يُكَفِّرُون الناقل في حين أنَّهم يلتزمون بعدالة الراوي والمؤلف فضلاً عن إيمانه، فما لكم كيف تحكمون؟

ولا يقف هذا الشيخ وأمثاله من الكتَّاب عند هذا الحد، بل تراهم يعتبرون بالرجل ويوثقونه ويروون عنه مادام لم يروِ فضيلةً لأهل البيت عليهم السلام، وبمجرد روايته لفضيلة في أمير المؤمنين عليه السلام يُضَعَّف،

---

١ صحبة رسول الله صلى الله عليه وآله: ص ٣٤.

ويرمى بالمخازي وما يتنزه اللسان عن ذكره.

وأمَّا من يروي طعناً في علي - وهو من وضعه أو وضع مَنْ سَبَقَه في الرواية - فهو مُقَدَّم عندهم، وممَّن يسْكَن إليه في الرواية، وممَّن ثبتت وثاقته وعدالته.

فقد رووا عن عمران بن حطَّان المادح في شعره لعبد الرحمن بن ملجم قاتل أمير المؤمنين عليه السلام، روى عنه البخاري ومسلم، وأخرجوا عن المغيرة بن مقَسِّم كما وثَّقه الذهبي، مع أنَّه كان يحمل على عليّ[١].

وكذا أخرجوا عن قيس بن أبي حازم مع أنَّه يحمل على عليّ[٢].

وأخرج مسلم والأربعة عن الفأفأ في حين أنَّ الذهبي نص على كونه ناصبياً[٣].

كما أخرجوا عن حريز شيخ البخاري مع أنَّه كان يلعن علياً عليه السلام في كل يوم سبعين مرَّة، لعنه اللّه وأخزاه.

فيا عجباً! كيف يكون الناصبي عادلاً وراوياً للسنَّة عن النبي صلى اللّه عليه وآله.

---

١ سير أعلام النبلاء: ٦ / ١٢.

٢ المصدر نفسه: ٤ / ١٩٩.

٣ المصدر نفسه: ٥ / ٣٧٤.

والحبل في هذا المسار طويل جرَّار لا نهاية له عندهم.

الخامس: ليس من الإنصاف والعدل - أيها الكاتب - أن تأمر بالتأمل في آيات القرآن، في حين أنَّك تمنع لحاظ الروايات المفسِّرة لتلك الآيات، وهل المفسِّر والمبيِّن لما أنزل إلا النبي صلى اللّه عليه وآله؟ وكيف نعرف تفسير القرآن إذا لم يبينه لنا الرسول ومن عيَّنهم اللّه عزَّ وجلَّ ورسوله عليهم السلام لحفظ القرآن وبيانه وتوضيحه للناس؟

فإنَّ معرفة ناسخه من منسوخه، ومجمله من مبيَّنه، و عامَّه من خاصه، ومطلقه من مقيده، ومكيِّه من مدنيِّه؛ كل تلك الأمور مرهونة بمعرفة النبي وأهل بيته عليهم السلام حقَّ المعرفة.

وأمَّا مع الانحراف عنهم، وعدم العمل بقولهم، وعدم الاهتداء بهديهم، فهو عين الضلال المذموم في القرآن، وفي الروايات، ولم يكن ذلك الفعل من المتقدمين إلا حسداً وبغضاً لهم عليهم السلام بما أعطاهم اللّه من فضله.

وقد مرَّ علينا سابقاً ما صنع النبي مع أمير المؤمنين من مناجاته له الطويلة، فغضب بعض القوم وقالوا

له: ما لك أكثرتَ مناجاة ابن عمك دوننا؟ فقال: ما أنا ناجيته ولكنَّ الله انتجاه.

كما أننا نقرأ في التاريخ صورة واضحة من الحسد؛ يحكيها ابن عباس من حديثه مع عمر بن الخطاب أيام خلافته، فقد قال عمر لابن عباس: (إنَّ قومكم كرهوا أن تجتمع لكم النبوَّة والخلافة فتذهبون في السماء بُذَّخاً وشمَّخاً، لعلَّكم تقولون: إنَّ أبا بكر أراد الإمرة عليكم وهضمكم؟ كلا؛ لكنَّه حضره أمرٌ لم يكن عنده أحزم ممَّا فعل، ولولا رأي أبي بكر فيَّ بعد موته لأعاد أمركم إليكم، ولو فعل ما هنَّأكم مع قومكم، إنَّهم لينظرون إليكم نظر الثور إلى جَازِرِه)[1].

وعلى هذا، فما ذكره هذا الكاتب في ختام رسالته من إمكان اجتماع حبّ النبي والآل مع حبّ الصحابة في قلب واحد، فهو ممنوع من جهة، وجائز من جهة أخرى.

أمَّا جهة منعه فهي منع الإطلاق فيه، فإنَّ حب النبي والآل عليهم السلام والصحب الكرام لخصوص الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، ووفوا بذلك العهد، وماتوا على ذلك، هذا من الأمر المرغوب في تحصيله

---

١ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١ / ١٩٠.

من المؤمن، ولكن ليس كل الصحابة ممَّن يجب حبُّهم كحبّ النبي والآل، فإنَّ منهم من بدَّل وغيَّر وحرَّف، فهل نحبُّهم كما نحبّ النبي والآل عليهم السلام؟

هذا ما لا ترضاه لنفسك فكيف ترتضيه للناس؟

وأمَّا جهة الجواز؛ فهي حبّ الصحابة الذين لم يؤذوا النبي بل ناصروه، ولم يفرّوا، ولم يخذلوه أمام المشركين والكفار، وماتوا على ذلك، فهؤلاء هم الصحابة بحقٍّ، فليس من الممتنع أن يجتمع حبُّهم مع حب النبي والآل الكرام.

فنحن نحب اللّه والنبي وأهل البيت والصحابة كسلمان والمقداد وأبي ذرِّ وعمَّار وخبَّاب والبراء والمرقال ومالك بن نويرة و... و...، وهم من الصحابة، وإن كان حبُّنا لأهل البيت عليهم السلام لا يقاس به حب من عداهم من الخلق أجمعين[1].

وعلى كل حال، فلم يَجِد هذا الكاتب عن سيرة سلفه، بل مشى على طريقتهم، وسار على هديهم، من الانحراف عن نهج أمير المؤمنين عليه السلام، وليس

---

١ فأصل الحب للنبي والآل والصحابة الذين وصفناهم بالصفات الحسنة مرغوب فيه ومطلوب، وأمَّا التسوية بينهم في الحب والولاء والطاعة فهو أمر آخر.

يغرُّنا أو يغَرِّر بنا أن كتب في غلاف كتابه كلمة لأمير المؤمنين، فإنَّها كلمة حق أراد بها - هذا الكاتب - باطلاً.

وكذا ليس ممَّا يوجب رفع عذره أن يقول بأنَّه يحبُّ علياً، فإنَّ للحب علامات وإشارات، لا نجد شيئاً منها على وجه كتابه، فضلاً عن تصرفاته وسائر أحواله، بل المُطَّلِع على حاله يرى العكس من ذلك، أعاذنا اللّه من سوء المنقلب، واللّه العاصم من كل سوء.

السادس: من الواجب علينا التنبيه على أمرٍ وهو: ضرورة توجه الأخوة المؤمنين والأخوات المؤمنات إلى من يحاول - في مثل هذه الأيام - أن يمزج السُّمَّ بالعسل، فيخلط كلامه السيّئ المُبَطَّن بكلامٍ ظـاهرُه حسنٌ، كمن يمزج دعواه الباطلة برهاناً ووجداناً بكلمة لأمير المؤمنين تحتمل أكثر من تفسير وأكثر من معنى، حتى لَيَظُنُّ القارئ له أنه كلام كلُّه حق ويراد به الحق، فيسير وراء الكلمات دون علم، بل بغفلة عن حقيقة الأمر، جاهلاً إلى توصله؟ وفي أي نَفَقٍ مظلمٍ تدخله؟ فتتوارد عليه الشُبَه من هنا وهناك في عقيدته وفي مبادئه الحقَّة، التي كرَّس أهل البيت عليهم السلام حياتهم كلها لتأسيسها وبيانها لشيعتهم أيدهم اللّه.

ثمَّ يبدأ في طرح هذه الشُبَه في كل نادٍ يرتاده، وكأنَّها فاكهة المجلس، فيسري سمُّها إلى أخرين غيره دون أن يلقوا جواباً لها، وذلك لأنَّهم لا يطرحونها على أهل العلم ممَّن تخصصوا في هذا العلم.

فلابدَّ للمؤمنين والمؤمنات قبل أخذ الكتاب - أيّ كتاب كان - أن يسألوا أهل العلم عن محتواه وآثاره، وبعد قراءته ينبغي على القارئ له أن يعرض ما فهمه، وما انتقش في ذهنه على المختصين في العقيدة، قبل أن يلوكه بلسانه، في كل مجلس ومنتدى.

وممَّا يؤسف له ما وقع من الكثير من الناس ممَّن وردوا على هذه الوسائل الإعلاميَّة الحديثة، مع التفاتهم إلى أنَّها تحمل إعلاماً موجَّهاً مشوهاً من قبل أعداء الله ورسوله، يهدف في كثير من أطروحاته إلى بثِّ السموم في عقول الشباب، كل ذلك بعناوين خدَّاعة كالحريَّة في التعبير، وحريَّة الرأي، والبحث عن الحقيقة، ومثل هذه العناوين البرَّاقة، والجذَّابة، التي أخذت بمجامع قلوب الكثير ممَّن تاه وانجرف وراء تلك التيَّارات ولم يرجع، فخسر هو؛ وخسرت ساحة الإيمان بفقده خسارةً لا تعوض.

السابع: خلاصة نظر الشيعة الإماميَّة في الصحابة

هو:

أنَّهم لم يفرضوا على أنفسهم قدسيَّة الصحابة ككل، بحيث يكونون في عزلة عن النقد والتجريح بعد التمحيص.

بل نظروا إليهم من حيث أعمالهم وسلوكهم، مع مقايسة تلك الأمور بالمقاييس والموازين الشرعيَّة والعقليَّة التي وصلت إليهم، وقام البرهان عليها.

فمن ثبت من الصحابة أنَّه قد حفظ العهد ولزم الحق واجتهد في اتباع الرسول والسير على نهجه في عقيدته وسلوكه، ولم يزغ عن ربّه، فقد استحق التعظيم والتبجيل، بل الموالاة والتقديس، إذ بهم قام عمود الدين، وقد قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عليهِمُ المَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالجَنَّةِ التي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾[1].

وأمَّا من نكث العهد، وفارق الحق، وغيَّر، وبدَّل، وانقلب على عقبه، فقد استحقَّ العذاب والوبال والبراءة منه واللعنة عليه، كما قال تعالى: ﴿ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ على نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عليه الله

---

١ فصلت: ٣٠.

فَسَيُؤْتِيه أَجْراً عظِيماً ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿ والَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهدَ اللهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِه وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ به أَن يُوصلَ وَيُفسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَئِكَ لَهم اللَّعْنَةُ وَلَهم سُوءُ الدَّار ﴾[٢].

أقول: هذا القول خاتماً به مقالي هذا، راجياً أن يصل إلى الكاتب وغيره من القُرَّاء، فيقرأُوه قراءةَ المتأمل المتأني، وليكن رائدهم طلب الحق أنَّى كان، دون حميَّة أو هوى أو تقليد أعمى أو عصبيَّة جاهليَّة، بل الحق أحق أن يتبع.

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على محمّد وآله الطيّبين الطاهرين.

---

١ الفتح: ١٠.

٢ الرعد: ٢٥.